نحو وعى اسلامى (٤١)

أحقاد وأطماع التبشير
فى أفريقيا المسلمة

د. عماد الدين خليل



د . عماد الدين خليل

أحقاد وأطماع التبشير
في أفريقيا المسلمة

المختار الاسلامى
للطباعة والنشر والتوزيع
ص . ب ١٧٠٧ القاهرة

الطبعة الثانية

١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

رافق النشاط التبشيرى ، بقطاعية الكاثوليكى والبروتستانتى، كلا الاستعمارين القديم والجديد مهد لهما ، وفتح أمامهما الطريق ، ولقى بدوره تشجيعا وحماية واسعة النطاق شملت كل احتياجات هذه المؤسسات المالية والعسكرية والسياسية والثقافية . فكان محتوم اذن أن ــ يعمل كل الطرفين ، فى العقود التالية ، فى جو من التعايش السلمى والتخطيط المشترك وكان من المحتوم اذن أن يعمل الطرفان على سحق كل ما يشــكل عائقا يحــول دون تحقيق أهدافهما المشتركة ، ولا ريب أن الحركات الاسلامية كانت تشكل السد الأعظم أمام محاولات هؤلاء .

اولا : وجد الاستعمار القديم المسلمين يقودون حركات المقاومة والكفاح المسلح ، بدافع من ايمانهم العميق بالجهاد ، وبان آى مسلم يوالى الكفار الدخلاء فهو منهم ، فمن يتولهم منكم فهو منهم ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. وقد تميزت هذه الحــركات بالفدائية وبذل كل ما تملك فى سبيل تحقيق كلمة الله .. وقــد حذر السيد Gwcarope (١٩٥٥) وهو الامين العام الممثل للمجلس الأفريقى فى قسم البعثات الأجنبية للمؤتمر الوطنى لكنائس المسيح فى الولايات المتحــدة من الخطر الاســلامى ضــد الاستعمار الغربى بقوله : (وهكذا فان الاسلام فى أفريقيا يهيىء مركز الحشد لكل أولئك الذين يقاومون التدخل الغربى نشــاطه او سيطرته) .

The Role of Christianity and I slamic Contem Poravy Africa وذكر (١٩٦٥) Bryan آنــه « فى المستقبل القريب سـيجد الغربيون أنفسـهم فى صــدام مع ثقافة

موحدة أكثر عداء لتدخلهم مما شوهد اطلاقا تحت الظروف القبلية »
وفى الوقت نفسه يظهر دهشته الكبيرة من قوة الاسلام فى أفريقيا مستشهدا بقول المبشر (Billylyraham) أما جون تايلور ، الخبير بالشئون التبشيرية ، فيضع فى كتاب (المسيحية والسياسية فى افريقيا) المخططات التى يمكن بواسطتها السيطرة على الأمور السياسية ، وتوجيه الانتخابات ، وتحطيم المسلمين ، الذين هم العثرة الأساسية ضد الاستغلال الاستعماري فى أفريقيا ، ويسجل بريان شكوى الشبيبه الأفريقية الحرة من نشاط المبشرين الاستعماري ، بعبارات الأفريقيين أنفسهم (فى الأول كنا نحن نملك الأرض ، أما هم فكانوا يحملون الانجيل ، أما الآن فقد أصبحوا يملكون الأرض ، وتركونا نحمل الانجيل) لا يوجد فى الانجيل شىء عن جمع الأموال من اتباع الكنيسة .. ولكن هؤلاء المبشرين يجمعون من الكبير والصغير وعندما يصلى هؤلاء المبشرون يجعلوننا نرفع رؤوسنا الى السماء ، والسبب انهم ينظرون الى أسفل الأرض طمعا فيها .. ذلك الذى يفكرون به دائما . (يعطوك السماء لياخذوا الأرض) وهكذا يبدو أن الاستعمار الجديد وجد هو الآخر فى المسلمين قوى واعية تملك ، أكثر من غيرها الوسائل التى تستطيع ان تكشف بها أخطار هذا الاستعمار وأبعاده ، ومن ثم فهى تشكل خطرا مباشرا عليه ، وتهدد وجوده الخفى بتمزيق استاره وكشف اقنعته المزيفة .

ثانيا : ومن البديهى أن تجد المؤسسات التبشيرية فى الاسلام خطرا حقيقيا ، وندا قويا لنشاطها وجهودها ليس بما يمتلك المسلمون من امكانيات الدعوة والانتشار فى أرض أفريقيا ، ففى هذه النقطة بالذات بدأ التفوق واضحا للمؤسسات التبشيرية التى

تسندها أغنى الدول واقواها ولكن بما فى الاسلام نفسه من حيوية وسماحة ووضوح واندفاع ذاتى واقناع ، تقف وراءه دائما العناية الالهية التى جعلت من هذا الدين طريق البشرية الاخيرة .

وهكذا يبدو طبيعيا حدوث تعاون كهذا بين الاستعمار والتبشير لايقاف الخطر الاسلامى عند حده ومحاولة سحقه . ومن ثم فان آية دراسة لنشاط المؤسسات التبشيرية فى افريقيا سوف لن تكتمل وتتضح الا بادراك هذا الرباط الحتمى بين الاستعمار والتبشير .. فمن هذا الطريق يجد المبشرون امكانات واسعة النطاق مادية ومعنوية ، سياسية وعسكرية ، ثقافية واعلامية ، لو هيىء للمسلمين عشر معشارها لتمكنوا من فتح افريقيا ، وضم معظم أبنائها الى عقيدة السماحة والوضوح الا أن الذى يجد من فاعلية هذه الامكانات العائلة للمؤسسات التبشيرية ، انما هو طبيعة المسيحية نفسها بشكلها البروتستانتى والكاثوليكى ، تلك التى تنبثق فى أساسها وتصوراتها عن الغبش الذى أحاط به القديس بولس نقاء المسيحية الأولى وتوحيدها الخالص ، ووضوحها واقناعها . فضلا عن القيم والتصورات الوثنية التى نفذت الى أعماق العقيدة المسيحية عندما وجدت فى أوربا ــ الكلاسيكية ــ المجال الرئيسى لنشاطها وعملها ووجدت فى الدولة الرومانية ، الوثنية السلوك والتصور الحامى الدولى لها .

ومع هذا فان الأيام تمضى لغير صالح الحركات الاسلامية فى افريقيا ، لأنه على كل ما يملكة الاسلام من حيوية ووضوح وسماحة واقناع ، وعلى كل ما يحيط بالمسيحية من جمود وغموض وقيود فان الوسائل تنتزع ــ بمساعدة القوى الاستعمارية ــ من أيدى ــ

المسلمين يوما بعد يوم ، وتتضخم بأيدى المبشرين يوما بعد يوم وهكذا نجد الظروف المعاشية والنشاط الاقتصادى يتحول لصالح المسيحيين الجدد ، بينما يتعرض المسلمون لتجويع وفقر لا يحتملان .. كما نجد التعليم والتثقيف ينصب على المسيحيين . بينما نجد المؤسسات التعليمية الاسلامية رقابات شديدة وتدميرا مستمرا ، كما نجد النشاط الاعلامى ينصب لخدمة التبشير بينما تكتم كل الأصوات التى تصدر عن الدعاة الاسلاميين وتحرق كتبهم ونشراتهم ويحرم تداولها بقوة السلطات البوليسية .

وفوق كل هذا ـ وهنا تبلغ المأساة ذروتها ـ تقوم الثورات المصطنعة ، باسم التحرر لتقضى على ما تبقى من قادة سياسيين لهم بعض العطف على القيم والدعوة الاسلامية ، لينصب مكانهم قادة وزعماء صنعوا على عين الكنيسة ورعايتها ، وهم فى الوقت نفسه عملاء مستورون أو مكشوفون للاستعمار القديم أو الجديد .. وحتى فى الدول التى تزيد نسبة المسلمين فيها عن التسعين بالمائة تقوم انقلابات كهذا لترفع الى كراسى الحكم ولتوجيه العناصر المسيحية ، ولتزيد من تجريد المسلمين ـ على كثرتهم ـ من الوسائل والظروف التى تمكنهم من العمل ، بل من الحياة . ولا بد لنا من ذلك من استعراض سريع لبعض صور ونماذج النشاط التبشيرى ومدى صلته الحيوية بالاستعمارين القديم والجديد [الامبريالية] ، وطبيعة الأساليب المتبعة لتشويه القيم والأفكار والتاريخ الاسلامى فى أذهان الأفارقة ، من أجل تهيئة الأرض الصالحة لمد النفوذ الكنسى ـ الاستعمارى هناك .

فى كتاب التاريخ الذى يدرس فى الصف السادس والصفوف الأولى المتوسطة ، والذى ألفه [جورج ديوارد] مدير مدرسة ابتدائية فى الكونغو ، تلفت انتباهنا هذه الفقرات المترجمة عن الدرس التاسع من الكتاب .. لكن قوانين دولية حرمت تجارة الرقيق حيث انتهت عبر شاطىء الأطلنطى على أن العرب استمروا فى ذلك بل وضخموا هذه التجارة لقد كانوا يصطادون ضحاياهم من الشواطىء الأفريقية الواقعة على البحر الأحمر والمحيط الهندى وعندما وصلوا الى زنجبار سنة ١٨٣٠ سيطروا على البلاد المجاورة وتقدموا الى داخل أفريقيا ثم توغلوا فى الكونغو حوالى سنة ١٨٦٣ وأسسوا سوقا للرقيق فى بلده [نيا نغوية] ، ومنها تشعبوا فى جميع الاتجاهات وسيطروا على ما يقرب من نصف الأرض الكونغوية ، ينهبون القرى ويبيدون كل من يجرب أن يقاومهم .... يقودون الأسرى بالألوف من أطفال ورجال ونساء وشابات لكن كيف كان يفعل العرب ؟ هل كانوا كثيرين الحق لا فالقد كانوا هم المنظمون فقط كانوا رؤساء هذه الصفقات وكان فى خدمتهم ألوف من الأفريقيين المسلمين الذين استاجروهم من السودان ومن بقية بلدان الشمال الشرقى الأفريقى المستعمرية .. كان كل هؤلاء الاستعباديين الغلاظ مسلحين بالسيوف والبنادق بينما لم تكن ضحاياهم نستطيع الدفاع عن نفسها الا بأسلحة ابتدائية .. كان صيادو العبيد يتبعون دائما نفس الاسلوب يحاصرون القرية ، يقتلون قسما كبيرا من الرجال ، ثم ينسحبون سائقين أمامهم بقية السكان حيث يقتلون فى الطريق كل ما يستطيع التقدم ، وذكر المكتشف [ليفينغستون] أنه من احدى القرى اتوا بأربعمائة شخص قتلوهم بالرصاص وأخذوا الباقى للبيع ،

وان هذا الجيش من العرب والمستعربين قضوا على ٢٧ قرية فى مدى يومين كان العبيد الكونغويون يصدرون الى مصر والجزيرة العربية وتركيا وايران وحسب تخمينات الدكتور [شاربونييه] فقد قتل العرب فى مدى أربعين سنة وباعوا آكثر من خمسة عشرة الفا من الكونغويين لكن شيئا فشيئا وبواسطة المقالات التى نشرها أوائل المكتشفين ، عرف الأوربيون هذا الوضع واهتم بذلك كثيرا من الكاردينال [لافيجرى] وملك بلجيكا [ليوبولد] الثانى واندفعا للعمل بقوة .. سبع دروس تسير على هذا المنوال عدا من المتفرقات هنا وهناك للذكرى ثم يذكر المؤلف فى مكان آخر استجابة الملك [ليوبولد] الثانى لنداء البابا وارساله الجيوش لتخليص الكونغو من العرب المستعبدين وطردهم بعد سنتين من الكفاح ثم تاسيس أول دولة كونغوية مستقلة عاصمتها بروكسل [عاصمة بلجيكا] وملكها [ليوبولد] الثانى ملك بلجيكا .

وذكر [ستيفن نيل] فى كتابه (تاريخ الارساليات التبشيرية ص ٤٨٧ فيما بعد) « أن محاولات جديه قامت فى الغرب ، فى الوقت الذى كان فيه الاسلام يواجه المصاعب اثر انحدار العثمانيين فى الحرب العالمية الأولى محاولات لتغيير الموقف السلبى القاسى الذى وقفه المبشرون . السابقون من الاسلام . بموقف اكثر ايجابية ولياقة وعلينا أن نخلط بين هذا الموقف والمواقف التى سبقته والتى تميزت بطابع الليبرالية ولكنها فشلت فى تقديم الاختلافات بين الأديان .. ولقد استفاد المبشرون كغيرهم من الغربيين من المعلومات المتوافرة التى جمعها عدد كبير من المستشرقين عن العالم الاسلامى .. [وحددت] خطة يمكن بواسطتها قيام مناقشة مفتوحة حرة [بين الديانتين] لا بد أنها ستلقى ترحيبا محدودا لم يكن

قط ممكنا فى الاجيال الماضية .. وعلى كل حال ، فلا هذه الخطة ولا أى خطة أخرى غيرها أوصلتنا الى ربح عدد محترم من المسلمين الى الديانة النصرانية . الا أن تأثير التبشير فى الاسلام هو أهم بكثير من عدد المسلمين القليل الذين تركوا الاسلام ودخلوا فى النصرانية . وأننا لنجد هذا التأثير واضحا فى أسلوب العرض الحديث لشخصية محمد فلقد عرضت النقط باسلوب بارع أصبحت معه صورة حاكم الصحراء العربية . مشابهة تماما لنجار الناصرة [عيسى عليه السلام] وهذا أمر لم يكن يتصوره المستشرقون السابقون .

وتدل التقارير الواردة عن النشاط التبشيرى الواسع فى أنحاء افريقيا على أن أهم الخطوط الجديدة البارزة فى هذا النشاط هى أولا المبادرة الى أكبر عدد ممكن من القسس والمبشرين السود ، ثانيا توجيه عدد من الاكفاء الذين يعول عليهم من رجال اللاهوت الى التخصص فى العلوم المدنية والسياسية كى يشرفوا على المؤسسات ذات ظاهر علمانى لامداد الافارقة فى الشئون الادارية والاقتصادية ثالثا : الترخص فى بعد المسائل الدينية التى لا تناسب المزاج الأفريقى ، كتحريم تعدد الزوجات ـ مثلا ـ حيث صدرت التعليمات العليا المكتوبة باباحة ذلك لمن يعشق المسيحية فى افريقيا .

وفى رسالة بعث بها [احسان حقى] مؤلف كتاب [افريقيا الحرة] الى مجلة (المسلمون من باريس) نلتقى بمزيد من الأساليب التى اعتمدها التبشير والاستعمار فى أفريقيا حيث يقول « لقد عاشت افريقيا عشرات من السنوات مضطهدة معذبة مغلوبة على

أمرها ، اذ تكالبت عليها الحكومات والقسس معا ، وعمل الجميع جاهدين لتنصيرها ولكنهم لم يفلحوا وقد بلغ من نمسف المستعمرين فى أفريقيا أنهم كانوا يستعينون بأموال المسلمين للعمل على تنصير المسلمين ، فكانوا يأخذون أموال الأوقاف الاسلامية ويتبرعون بها للكنائس لا بل قد ارتكبت بعض الحكومات أفظع من ذلك اذ أنها كانت تنتزع من أموال الأوقاف مبالغ طائلة تدفعها للمسيحيين لاطعام حمام الكنائس بينما أهل البلاد يموتون جوعا فى الطرقات . ولكنهم فشلوا فى كسب أحد من أهل البلاد اللهم الا من الوثنيين أو الأطفال الذين كانوا يأخذونهم أيام القحط والمجاعات فيربونهم وينشئونهم على المسيحية واذا كان المبشرون لم ينجحوا بتنصير المسلمين فانهم قد نجحوا بلا شك فى افصائهم عن دينهم بما فرضوه عليهم من نظام تجهيل وابعاد عن البلاد الاسلامية حتى جعلوا كثيرا منهم يجهلون دينهم ، وحتى صار فريق منهم يجهل أنه مسلم، وهو يمارس الأحكام الاسلامية أو بعضها .. وقد غادر المستعمرون البلاد بأجسامهم بعد أن طبعوها بأفكارهم ومبادئهم ولغتهم أيضا .. ولما كانت الاقوام الافريقية وهى عربية مسلمة قد أضاعت لغتها مع مرور الزمن وعتو المستعمر ، فقد اضطر أكثرها بعد الاستقلال أن تتخذ لغة المستعمر لغة لها [الانكليزية والفرنسية] ومن مهازل الدهر أن يضيع أكثر الأفارقة لغتهم العربية ، وأفريقيا معقل هذه اللغة بما فيها من جامعات الأزهر والقرويين والزيتونيه .. » .

ان البعثات التبشيرية الغنية بالوسائل المادية والاعلامية ، والتى تؤيدها حكوماتها القوية ومنظماتها المطاءة ، تبذل نشاطها محموما فى التبشير بالنصرانية وفى اعاقة سير الاسلام بسبب الهجمات

الضاربة التى تشنها عليه . وأن ٣٥ ٪ من البعثات البروتستانتيه فى العالم تعمل بنشاط فى آفريقيا ، كما آن الكاثوليك ليسوا أقل نشاطا وتركيزا على هذه القارة من زملائهم ، وبالامكان اعطـاء القارىء فكرة عن سرعة وشـدة النشاط التبشيرى فى أفريقيا الوسطى على سبيل المثال فقد كان فى الكونغو قبل الاستقلال بعثات تبشيرية أجنبية يبلغ عددها ١٥ ألف بعثة ، وجميعها تعمل بنشاط محموم وقد تمكنت من جنى محصول غنى يبلغ تعداده خمسة ملايين شخص . ومقابل هذا العدد الضخم لا يوجد فى الكونغو جمعيـة واحدة للدعوة الى الاسلام ونشر تعاليمه ، رغم وجود ما لا يقل عن ٨٥٠ ألف مسلم فى الكونغو . أما فى جنوب أفريقيا فان الكنيسـة الاصلاحية الهولندية وحـدها تنفق هناك ١ الى ٢ مليـون جنيـه استرلينى سـنويا من أجل التبشـير . آما تبرعات الموسرين من المسلمين لأجل نشر الدعوة الاسلامية هناك فانها تسـاوى صـفرا ولا تزال أغلبية السكان من الوثنيين ولكن هناك الكثير من المسلمين وأقلية ضئيلة من النصارى . ويزداد عدد هؤلاء الآخرين باستمرار بسبب الجهود التى لا تكل والتى تبذلهـا الاعـداد الـكبيرة مـن البعثات التبشرية البيضاء ، وهى تكافح تحت الحماية الأمريكية والبريطانية ، والمساعدات المالية التى تتلقاها من مختلف الدول الأوربية وقد استعمل التبشير ، ويستعمل ، مصادره الفنيـة هذه ، وأساليبه البارعة ، وعدوه وخيانته ، لاضطهاد الاسلام فى افريقيا ومنع تقدمه وخلال عهد استعمارهم للبلدان الافريقية كانت المعرفة والتعليم محصورتين فى البعثات التبشيرية ، وهذه بدورها كانت تقدم كل العون الممكن والتشجيع والرعاية لأولئك الذين يقبلون الدخول فى النصرانية ، وهذا يفسر لنا الوضع الراهن فى

معظم الدول الافريقية حيث نجد أن غالبية السكان هم من المسلمين ، ولكن قيادتهم تقع في أيدي الأقليات الصغيرة النصرانية.

ولنأخذ دولة سيراليون كمثال على ذلك فنجد أن نسبة ٨٠ ٪ من السكان هم من المسلمين ولكن الأقلية النصرانية التى تبلغ نسبتها ٥ ٪ فحسب تسيطر على ١٧ مقعداً وزارياً من أصل ٢٢ كما نجد أن كل من رئيس الدولة ورئيس الوزراء ، ووزراء الخارجية والمالية والاعلام هي جميعا من النصارى ويزعمون أن المسلمين متأخرون وغير متعلمين أو مثقفين ، ولذلك فانهم غير قادرين على تسيير بلادهم وحكمها ، وهذه هي نسب الأكثريات الاسلامية في دولة تحكمها أقليات غير اسلامية : السنغال ٩٠ ٪ سيراليون ٨٥٪ افريقيا الوسطى ٧٠ ٪ الحبشة ٤٥ ٪ تشاد ٣٣ ٪ فولتا العليا ٣٣ ٪ واذا ما استمر الوضع الراهن المؤلم وغير العادل فان التبشير سوف يسيطر على غرب أفريقيا ذات الأغلبية المسلمة الكبيرة التى تستطيع بقليل من أعمال الفكر والجد والنشاط والاهتمام السياسى ، أن تتحول الى دولة من أقوى الدول الاسلامية في أفريقيا . ومنذ قرن من الزمن شق [دافيد ليفنفستون] (أكبر المبشرين في أفريقيا) طريقا هناك حدد غايته بانه (طريق للتجارة والاستعمار والتبشير) . ولتحاول الكنيسة أن تقلب قارة أفريقيا الى قارة نصرانية بأية وسيلة ممكنة . وأن الانقلاب العسكرى الدامى الذى تم في نيجيريا ـ عام ١٩٦٦ يكشف لنا سباق خطط الكنيسة لسحق الاسلام والمسلمين .

وفي رسالة للشيخ [نورى] من [دكار] عاصمة السنغال أن ٩٥ ٪ من سكان السنغال مسلمون و ٣ ٪ مسيحيون ، والباقى

وثنيون يتنازعهم الاسلام والمسيحية ، مع ملاحظة آن حصة الاسلام اكبر لوجود دعاة آكفاء خبيرين بامور الدعوة . لأن طبيعة الزنوج وعاداتهم أقرب بكثير الى الاسلام البسيط السمح منه الى المسيحية المعقدة الغامضة .. والسنغال قديم عهد بالاسلام ، منذ انطلقت منه منذ ألف سنة حركة المرابطين .. وحتى الوقت الحاضر . وفيه ظهر فى القرن الماضى الحاج عمر الفوتى الذى قام بنشر الاسلام وعمل على توحيد شعوب افريقيا على سياسة الاسلام .. وقد كاد ينجح فى ذلك لولا تدخل الاستعمار الغربى البغيض ، وخيانة بعض الأمراء والزعماء .. وهنالك الداعية شيخ الاسلام الحاج ابراهيم ايناس الذى تنقل فى عدد من الدول الافريقية ، واخذ يعمل على ادخال السلاطين والأمراء والوزراء والزنوج فى دين الاسلام فى نيجيريا وغانا وداهومى ومالى وسيراليون وغامبيا .. (ثم ما لبث الاستعمار آن جاء ، وقام بعمليات قاسية لمحق الاسلام) واخذ يعمل بواسطة مدارسه اللادينية والتبشيرية على بث سموم الميوعة والالحاد والانحلال فى نفوس الشباب ، وبذل مجهودات جبارة لتربيتهم وتدريبهم على السخرية بمقدسات الاجداد والتقاليد الاسلامية ليخلف جيلا يؤمن باوربا وحدها ويقلدها تقليدا اعمى ونتج عن ذلك ان أصبح غالبية الشبان المتخرجين من المعاهد والجامعات الغربية ـ وهم الاطارات المدبرة والمسيرة لشؤون البلاد اما ملحدين أو انحلاليين يؤمنون بضرورة فصل الدين عن السياسة .. بينما وجدت المسيحية المجال أمامها واسعا فسيحا ، وأخذت تلقى الترحيب والتحيز والتاييد لدى جميع الاوساط الرسمية .. آنها تقوم بنشاط هائل خطير ترتعد منه فرائص كل زنجى يعرف تاريخ بلاده ، وتتدخل فى كل الأمور

وخاصة فى المسائل المتعلقة بمستقبل الأمة كالتربية والتعليم والقوانين الاجتماعية .

وفى غينيا قامت الحكومة ، ذات الأغلبية المسلمة ، بمنح قطعة ارض تبلغ مساحتها ٨٨ فدانا لاسقفية [كوناكرى] كى تؤسس عليها معهدا كنسيا صغيرا . هكذا نشرت صحيفة بريطانيا الكاثوليكية الأسبوعية : الكون The Universe خبر المنحة فى عددها الصادر فى ٩ - ٨ - ١٩٦٣ تحت عنوان كبير ((حكومة مسلمة تمنح قطعة أرض لمعهد كنسى)) ثم علقت عليه قائلة : [ان عدد الكاثوليك فى غينيا يبلغ ٣٢،٠٠٠ أى أقل من ١ ٪ من مجموع السكان . فى حين يبلغ عدد المسلمين ٦١ ٪ . هذا وقد أعلن رئيس الأساقفة(تشيدمبو) انالبناء الجديد - على الأرض الممنوحة- سوف يطلق عليه (معهد يوحنا الثالث والعشرون) حيث أن الكنيسة الغينية اذا أنشئت فى عهد هذا البابا العظيم الذى كان - يحب أفريقيا حبا جما .. ترى أيدور فى خيال أحد أن تقوم حكومة مسيحية فى لندن أو واشنطن أو باريس ، يمنح قطعة من الأرض الى جماعة أو معهد اسلامى لبناء مسجد عليها ؟ الا أن منطق العبيد لا يمكن بحال أن يلتقى بمنطق السادة حتى فى الكرم والعطاء .

أما فى نيجيريا فان المأساة أدهى وأمر .. ففى مقابلة اجرتها مجلة [حضارة الاسلام] فى دمشق مع وفد اسلامى نيجيرى زار بعض العواصم العربية ، جرى استعراض للاوضاع الصعبة التى يعانيها المسلمون والنشاط الاسلامى هناك ، جاء فيه أن عدد المدارس التى تدرس الدين الاسلامى فى نيجيريا يبلغ ١٥٠ ، منها

٨٠ تفـرعت من مركز [تالم العـربى] [فى أغيفى] فى القسـم الجنوبى . ويتولى رئاسة هذا المركز الحاج آدم عبد الله الآلوى الذى اندفع الى تأسيسه بانشاء المدارس الاسلامية نتيجة الشعور بالخطـر الـكبير الذى يتهـدد الاسـلام فى نيجيريا ، على ايـدى الارساليات التبشيرية الاستعمارية التى تملك عـدداً ضخما مـن المدارس والمؤسسات ، الى جانب محطة اذاعة خاصة تذيع باللغة العربية ، ونخاطب المسلمين فى نيجيريا تدعوهم الى ترك الاسلام . وقد خصصت جميع برامجها للدس على الاسلام ، والطعن بالنبى العربى العظيم صلى الله عليه وسلم ، وتشوية حقائق الاسـلام ، وبيان مزايا عقائد المبشرين الاوربيين وحضارتهم .. وتعتبر نسـبة المدارس الاسلامية العربية قليلة ولا تفى بالحاجة أمام المدارس التى تبشر بعقائد أوربا الاسـتعمارية .. ولقـد ذكر السيد آدم عبد الله فى كتابه [موجز تاريخ نيجيريا] ان الحكومة الانكليزية تعمل جنبا الى جنب مع الهيئات التبشيرية بحيث تمهد أحداهما الأسباب الأخرى ، كاليدين تغسل احداهما الأخرى . واستطاع التبشير أن يصيد بشبكاته كثيراً من القبائل الوثنية فى المقاطعات الجنوبية التى لم يعتنق آهلها الاسلام كما استطاع ــ بقوة دعايته الواسعة العريضة ــ أن يقتنص الشباب الجهلاء من بعض أبنـاء المسلمين الجنوبيين . ولكن صلابة ايمان الشـماليين وتمسـكهم الشديد بتقاليدهم وعقائدهم أوصد على التبشير أبواب الدخول الى أراضيهم والتمكن من آهلها ، على الرغم من الدعايات المبذولة عن طريق المدارس والمستشفيات والمكتبات ، وجميع المغريات التى تغص بها المقاطعات الشمالية . وقد اتخذ التبشير المدارس مصائد لاقتناص أبناء المسلمين ، وقلب حقائق الاسلام الى آباطيل ، وتتبع

المطاعن فى تقاليد الاسلام والمسلمين بالحق والباطن . وبالاسف الشديد نرى آن تجمد مسلمى نيجيريا على العادات الجاهلية يساعد التبشير فى الاتساع والانتشار .

وجاء فى رسالة بعث بها [نشار أحمد أعظمى] ، من [كانو] فى نيجيريا الشمالية أن معظم الاساتذة الكبار هنا امريكانيون وبريطانيون وتعلمون أن التاريخ مادة تضم أبحاثا يمكن أن تختلف الآراء ووجهات النظر فى طريقة عرضها . ويتعمد هؤلاء عرض بعض نقاط التاريخ الاسلامى بشكل مغاير للحقيقة مثل : حياة وتعاليم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، انتشار الاسلام ، الجهاد ، الصليبيون ، أثر الشعوب الاسلامية فى الحضارة الانسانية . بيد أن عرضى لوجهة النظر الأصلية فى هذه المواضع لم يعجب مدير المدرسة البريطانى .. وخيل للرجل انى مبشر .. ومن الجدير بالذكر هنا أن القسم الاكبر من المقرر يتعلق بتاريخ بريطانيا وأوربا .قد أخذ المدير يعاملنى كمبشر ويرسل للوزارة تقارير كاذبة ضدى .. وقد استطاع قبل سفره الى انكلترا أن ينقلنى فعلا الى مدرسة اخرى واذ كان كبير المستشارين لشئون التربية [وهو بريطانى ايضا] صديقا حميما له ، فقد أخذ المدير يكتب له من انكلترا ، يذكره بى حتى استطاع أن يصل الى غايته تقريبا . اذ استلمت مؤخرا أخطار بانهاء مدة عقدى ، وأن على أن أغادر البلاد » وأعتقد أن من واجبى قبل مغادرة البلاد أن أؤكد للمسؤولين خطورة تدريس التاريخ الاسلامى لتلاميذ لم ينضجوا بعد . على أيدى المبشرين بطريقة حاقدة مضللة ، تجعل أبناء نيجيريا الشمالية يفقدون كل احترام لماضيهم وأبطالهم وأجدادهم ، ويخجلون من كل ما فعلوه وحاربوا من اجله ، وضحوا بارواحهم فى سبيله . أن السياسة

التى تتبعها الحكومة حاليا تعنى آن لا يسمح آلا لأولئك الذين يلبسون ثياب أساتذة المدارس الرسمية من المبشرين النصارى أن يعرضوا وجهات النظر الحاقدة المضللة فى بعض مسائل التاريخ الاسلامى بنفس الطريقة التى استطاع بها المستشرقون الأوربيون أن يجعلوا هذه المواضيع موضع آخذ ورد ..

وذكر أحد زائرين نيجيريا آن الأجانب هناك استطاعوا أن يقنعوا المسؤولين فى قبائل [الهوسا] الأفريقية المنتشرة ما بين الصحراء شمالا ، والكميرون ، وتوجو ، وداهومى ونيجيريا جنوبا ، وعددهم يزيد على عشرين مليون وأكثريتهم الساحقة من المسلمين بأن يكتبوا لغة [الهوسا] التى يتكلمونها بالحروف الافرنجية [وهى الآن تكتب فعلا بهذه الحروف] ، وذلك فى محاولة منهم لابعاد هؤلاء الأفارقة ، بقدر الامكان ، عن العرب والعربية وقرآنها المبين ، بعد أن فشلوا فى محاولة الكتابة اللغة السواحلية المنتشرة بين نحو خمسين مليون فى شرقى أفريقيا وأواسطها بحروف افرنجية بدلا من الحروف العربية ، وها هم أولاء يحاولون الآن أن يقنعوا الصوماليين المسلمين بان يكتبوا افرنجية ، وما دامت التجربه قد نجحت فى تركيا القريبة من بلاد الضاد ، فاحرى بها أن تنجح فى قلب أفريقيا بعد أن أختار العرب بأنفسهم أن يقيموا جدرانا فاصلة بينهم وبين أخوانهم المعزولين هناك .

وقد وقف الزعيم المسلم أحمد وبللو ، رئيس وزراء الاقليم الشمالى فى نيجيريا — سابقا — كالعملاق يدعو الاسلام فى نيجيريا ، ويدفع عنه وسط بحر من النشاط العدائى الذى تولى المبشرون كبره ، ونفخت فيه نار السموم كل من الصهيونية والاستعمار ..

وقف كالعملاق يدعو وينافح ، ويدخل الرعب الى قلوب المبشرين وشركائهم .. وقاد بنفسه حملة الدعوة للاسلام بين الوثنيين فى اقليمه عام ١٩٦٣ فربح لصفوف المسلمين فى آخر العام ستين الفا منهم . أما فى نهاية عام ١٩٦٤ فكان عدد الذين دخلوا الاسلام على يده [٣٦٦,٨٩٨] وثنيا ومسيحيا . وكان هذا الرقم أكثر بكثير مما ربحته الارساليات التبشيرية ، مجتمعة ، فى شمال نيجيريا من الوثنيين خلال ثمانين عاما .

وخطا احمد وبللو خطوات آخرى فى سبيل تعزيز الوجود والثقافة الأسلامية واللغة العربية فى المنطقة فوثق اتصالاته بالعالم العربى حكومات وشعوبا وافتتح فى أقليمه مدارس خاصة لتخريج مدرسى اللغة العربية كى يأخذوا على عاتقهم مهمة تعليم أبناء المسلمين فى نيجيريا لغة القرآن الكريم وأرتقى منبر المؤتمرات الاسلامية ليعلن بصراحة المؤمن عن خطر المبشرين ومدى تغلغلهم ونفوذهم وقوتهم ، وطالب زعماء العرب والمسلمين أن يسعوا لدره هذا الخطر بالعمل الهادف والجهد الدائب ، ولم يسمح لاسرائيلى واحد أن تطأ أقدامه أرض نيجيريا الشمالية ، بينما الاسرائيليون يتغلغلون بالالوف فى سائر مناحى الحياة الاقتصادية والسياسية فى الأقاليم النيجيرية الباقية وخصوصا الاقليم الشرقى الذى [عمده] المبشرون وأقاموا فى عاصمته عام ١٩٦٥ مؤتمرا عالميا لدراسة مشاكلهم فى القارة السوداء [ربما خططوا فيه للتخليص من احمد وبللو ونشاطه الذى لا يفتر] كما أقدم الزعيم النيجيرى المسلم على خطوة بالغة الأهمية فى مجال الثقافة ، حيث بدأ كتابة لغة [الهوسا] بالاحرف العربية ، قبل أن يأتى خبراء التربية الانكليز ويحولوها الى احرف لاتينية ليقطعوا كل صلة لسكان

غرب أفريقيا بالعرب ولغة العرب . كما سعى لاستقدام أكبر عدد ممكن من الخبراء من البلاد الاسلامية [العربية وباكستان] .. وأخيرا وقبيل مقتله بأسابيع ، بدأت نقابة المدرسين فى نيجيريا الشمالية تطلب من الحكومة العمل على وضع يدها على كل المدارس الخاصة فى الاقليم . وكان أحمد وبللو يفكر منذ زمن بهذه الخطوة، وينتظر وجود المال والمدرسين للقيام بها ، وهى خطوة بالغة الخطورة اذا ما علمنا أن ثمة ٢٧٤٣ مدرسة ابتدائية فى نيجيريا الشمالية ثلاثة أرباعها للمبشرين وفيها ٧٢ مدرسة ثانوية ثلاثة أرباعها لهم أيضا :

من أجل هذا كله فتح المبشرون والمستعمرون والصهاينة عيونهم على الخطر الذى يمكن أن يشكله هذا الاقليم وزعيمه ضد مطامعهم فى أفريقيا ، والذى يطلع على أحداث ما كتبه المبشرون ، يرى بوضوح مدى الاهمية التى يعلقونها على الاقليم المذكور ، والقلق الذى يساورهم من بقائه مسلما ومن امكانية انتشار الاسلام على طريقه الى سائر انحاء أفريقيا السوداء . ومن ثم بدأت المؤامرات مع استقلال نيجيريا فى تشرين الأول عام ١٩٦٠ ، حيث راحة الدعاية المركزية المدروسة على صعيد عالمى تثير اشاعة خوف أقاليم نيجيريا الثلاث من سيطرة الاقليم الرابع [الشمالى] المسلم على الاتحاد كله ، رغم أن الواقع يشير الى عكس ذلك تماما ، فالاقليم الشرقى - مرتع المبشرين ومأوى تلامذتهم النجباء - هو الذى يستأثر بحصة الأسد من الادارات الحكومية فى سائر الاقاليم الاخرى ، وعلى الأخص فى الاقليم الشمالى المسلم حيث يسيطر أبناء الاقليم الشرقى من تلاميذ المبشرين سيطرة تامة على أجهزة الدولة جميعها فالاقليم الشمالى هو أقل الاقاليم الأربعة تطوراً وثقافة ومالا وخبرة

نتيجة لسياسة الاستعمار المدروسة التى طبقها على المسلمين من أبنائه ، ولذا يفتقد هذا الاقليم القوى البشرية الفنية المدربة .. فياتى تلاميذ المبشرين لملء الفراغ ، خصوصا وانهم الوحيدون الذين دربهم المستعمر وسلمهم قبل أن يترك نيجيريا ، وكل مراكز الدولة الحساسة .

وهكذا أصبح الاقليم الشرقى السلاح الذى يضرب به المبشرون بعد أن انسحبت جيوش الاستعمار أثر الاستقلال مخلفة جيشا اتحاديا يبلغ عدد النصارى فيه ٧١ ٪ ، وما تبقى فلابناء الديانات الاخرى ، بما فيها الوثنية والاسلام ، وفى الأشهر القليلة التى سبقت المؤامرة ركزت الحملات المسعورة هجومها على الرئيس احمد وبللو ، وأسهمت فى هذه الحملات بصورة علنية أو مستورة، اجهزة الاعلام الغربية فى أوربا وأمريكا ، وآنى لنيجيريا الشمالية الفقيرة التى لم يكن عندها صحيفة يوميه واحدة معتبرة ، أن تكافح الدعايات المسمومة ، ومن ثم راحت الاتهامات تنهال على الزعيم المسلم وحزبه بانهم زوروا انتخابات الحادى عشر من تشرين الأول عام ١٩٦٥ فى الاقليم الغربى تلك التى فاز فيها الحزب الوطنى الديمقراطى الذى يتزعمه [أحمد وبللو] و [أبو بكر تفاوا باليوه] باغلبية وصلت الى ٧١ مقدا من مجموع ٩٤ ، بينما لم ينل الحزب الاتحادى التقدمى الذى يتزعمه [آزيكوى] رئيس الجمهورية أكثر من ١٧ مقعدا ، وكانت مطالب الحزب الخاسر هى اعلان حالة الطوارىء فى الاقليم الغربى ، وأجراء انتخابات جديدة ، بعد تشكيل حكومة محايدة للاقاليم .

رفض [أبو بكر تفاوا باليوه] رئيس وزراء الاتحاد هذه المطالب التى يبدو أن رئيس الجمهورية كان يقف مؤيدا لها ،

وسرعان ما مرض أثناء احتدام الازمة وغادر البلاد الى لندن وفى صباح الرابع عشر من كانون الثانى ١٩٦٦ ، وبعد يومين من عودة [الحاج أحمد وبللو] من الديار المقدسة ، بعد أداء العمرة هناك ، هاجمه فى بيته نفر من الضباط من تلاميذ المبشرين أبناء الاقليم الشرقى وقتلوه هو وزوجته وأولاده ، وأحرقوا منزله أمعانا فى الانتقام . وكان ذلك فى [كادونا] عاصمة الاقليم الشمالى المسلم ثم منع هولاء القتلة ـ بامر عسكرى ـ المسلمين من دخول المساجد ، وأخذت الأجهزة الاعلامية الغربية تذر الرماد فى العيون وتشيع أن الخلافات السياسية المحلية هى سبب الحادث .

وما لبث المتآمرون أن قتلوا كلا من [أبى بكر تفاوا باليوه] رئيس الوزراء فى لاغوس ووزير ماليته ، بعد خطفهما ، والحقو بهما المستر [اكنتولا] رئيس الاقليم الغربى ولقد قاد هذه المؤامرة الانقلابية [شوكور مانزيجو] من قبيلة [أيبو] النصرانية للتخلص من الزعماء المسلمين الشماليين ، وأصدر أوامره بالغاء توحيد نيجيريا ، والغاء الحكم الفدرالى وحل الاحزاب ، وفرض سيطرة [ايبو] على نيجيريا . وباسلوب مسرحى انطلق صوت الجنرال [ايرونسى] القائد العام للجيش معلنا استيلاءه على الحكم ومتظاهرا بأنه سيعيد الأمور الى نصابها ، وسينتقم من الثوار .. ولكن الثوار هربوا لأن مهمتهم قد انتهت بتصفية أعدائهم ، بينما راح [أيرونسى] يدعم سلطة [الايبو] النصرانية التى ينتمى اليها ، ولم يقم رئيس الجمهورية القابع فى لندن بأى استنكار للاغتيالات التى اطاحت برفاقه فى الحكم وصرح النائب العمالى البريطانى اليهودى [برنارد فلود] الذى كان يزور نيجيريا آنذاك ، أنه يعتقد أن الهدف هو احمد وبللو ، وما لبثت

أن اندلعت الاضطرابات وعمت الفوضى حتى قدر عدد القتلى بثلاثين ألف شخص ما بين مسلم ونصراني .

أما حركة [أوجوكو] الانفصالية ، وسعيه لتكوين دولة بيافرا [حيث ٦٧ ٪ من انتاج نيجيريا للنفط الخام وحيث تستثمر شركة مثل بريتش بتروليوم ، ثلاثمائة مليون جنيه استرليني سنويا] فهى مثل آخر من عديد من الأمثلة على المحاولات السياسية العسكرية التى تستهدف اضعاف قوى المسلمين فى أنحاء أفريقيا وتمزيق وحدتهم ، وتقطيع أوصال بلادهم ، تلك المحاولات التى كانت تنبعث وهى محاطة بضمانات مخططة مدروسة من قبل كافة القوى المضادة للاسلام فى افريقيا : استعمارية وصليبية وصهيونية

ويحدثنا شاهد عيان للاحداث الدامية والمتناقضات التى عاشتها وتعيشها نيجيريا منذ حركة [ايرونسى] ومقتل الزعيمين الاسلاميين احمد وبللو وأبى بكر تفاوا باليوه وحتى الوقت الحاضر فيذكر كيف أن نيجيريا ما آن بدأت فى استقبال عهد من الاستقرار أثر الثورة الاسلامية التى أطاحت بايرونسى وقتلت أحمد وبللو [فى ٢٩ تموز ١٩٦٦] والتى قادها زعماء اسلاميون أمثال محمد كرما ومحمد مرتضى وحسن عثمان والكولونيل محمد شوا وغيرهم وأتت بالقائد المسيحى يعقوب كوون الى الحكم كاجراء مرحلى لاستعادة وحدة البلاد وقطع الطريق على أية محاولة انفصالية .. ما أن تم ذلك حتى راحت قبائل [الايبو] فى الاقليم الشرقى بزعامة [لوجوكر] الذى عينه ايرونسى على الاقليم الشرقى ، تستغل فترة المفاوضات التى دامت عشرة أشهر ، وتستورد الأسلحة

وتكدسها فى المستودعات وتدفع أثمانها من خزانة الدولة الاتحادية، الأمر الذى نبه حكومة الاتحاد الى أن الاقليم الشرقى لم يرسل عائدات النفط وضرائب الاقليم . فما كان من أوجوكو . بعد أن افتضح أمره . الا أعلان الانفصال وتسميه أقليمه [دولة بيافرا] وفى الحال أرسل أوجوكو جميع الأموال الموجودة فى بنوك الاقليم الى يهود سويسرا وباعهم الجنيه النيجيرى بعشرة شلنات انكليزية [أى بنصف الثمن] وعمد اليهود الخبثاء الى أعادة هذه الأموال الى الحكومة الاتحادية التى سرعان ما أعلنت عن تبديل عملتها وحددت عشرون يوما لأجراء هذا التبديل فاغتنم اليهود الفرصة وأرسلوا عملاءهم السويسريين كسواح ورجال أعمال . ولكن الحيلة لم تنطل على رجال الجمارك فى الحكومة الاتحادية ففتشوهم واكتشفوا لديهم آلاف الجنيهات المهربة مع الرجال والنساء ملصقة على أجسامهم بالبلاستك ، فاودعوا جميعهم السجون .

وبدأت الأسلحة تتدفق على [أوجوكو] بالمجان ، لقتل المسلمين ، تتدفق من هولندا وفرنسا والمانيا الغربية وايطاليا واسرائيل ، وتبرعت البرتغال بتسعة ملايين جنيه استرلينى ، ودفع بنك روتشيلد الصهيونى لاوجوكو مبلغا قدره ستة ملايين استرلينى خلال أسبوعين ، وأقيم فى فرنسا أسبوع لدعم العمل فى بيافرا ، واشترك البابا والفاتيكان بتهريب الأسلحة الى بيافرا على بواخر حكومية مما يؤكد أن المناداة بفصل الدين عن السياسة أريد منها ابعاد التشريع الاسلامى ، وتدمير القيم الأخلاقية فى البلاد الاسلامية فقط أما فى بلاد الغرب فان الدين والسياسة شيء واحد . ولا أدل على ذلك من الأموال المتدفقة من الحكومات الغربية على الارساليات

التبشيرية لتعليم أبناء المسلمين فى مدارسها خدعة فصل الدين عن السياسة . فكان أول ما قاموا به عندما تسلموا الحكم أن فصلوا الدين عن الحياة ، وكرسوا جهودهم لمحاربة المخلصين لأمتهم ودينهم .

وهكذا قامت مؤسسات التبشير بمهمتها خير قيام ، فكانت الساعد الأيمن لاوجوكو فى التجسس وتقديم المساعدات والمعلومات والأسلحة ، وبث الفتنة بين الشعب الواحد ، وتاليب الميسحيين ضد المسلمين فاستحقوا شكر أوجوكو على ما قدموا من خدمات وما أن وصلت الأنباء الى الشماليين بما حشد أوجوكو من قوات بمساعدة الاسرائيليين والمرتزقة لاحتلال لاغوس ، حتى هب أبناء الشمال هبة رجل واحد لحمل السلاح والتطوع لاطعام المتطوعين ، واستعدوا للقتال تحت شعار [نيجيريا الواحدة] والموت لمديرى الانفصال والصهيونية المجرمة ، وعندما رفضت اوربا الغربية بيع السلاح لحكومة الاتحاد اضطرت هذه للالتجاء الى الاتحاد السوفياتى وعقدت معه صفقة ميج ١٧ حتى تم دحر قوات أوجوكو بعد فترة طويلة من القتال انتهت بمطلع عام ١٩٧٠ وبعد قتل وأسر عدد كبير من الطرفين وكان من بين الاسرى البيافريين ضابطان اسرائيليان تم اعدامهما بعد محاكمة عسكرية بملابس دولتهما كما جرى ترحيل ثلاثة وثلاثين مبشرا من أجناس مختلفة بعد ثبوت تعاونهم مع اوجوكو .

كان دور الأبطال المسلمين بارزا فى تحقيق النصر على أوجوكو وسقوط بيافرا فظل بطل الثورة النائب محمد كرما يقاتل ببسالة فى الجبهة الشرقية متبرما من مجون رفاقه الذين كانوا

يحتسون الخمرة مسايرة لزملائهم المسيحيين ، فكان يقول : [اذا انغمس المسلم فى الشهوات فانه ينسلخ عن آدميته ، ويصبح خطرا على وطنه ودينه ، وقد استشهد ـ رحمه الله ـ فى كمين بعد أن سجل عدة انتصارات على جيش الانفصال عند اقتحام المدينة المحاطة بالانهر . أما الكولونيل محمد مرتضى فقد ظل يتقدم بقواته حتى سقطت تحت هجماته حوالى تلث مساحة بيافرا وبقى مرتضى ورفيقه شوا يحاربان فى الاقليم الشرقى ما يزيد عن السنتين . وعندما لاحت تباشير النصر استدعى الكولونيل مرتضى لينال ترقية عسكرية ويبقى فى القيادة بـ [لاغوس] كما رقى زميله الكولونيل شوا وأرسل الى لندن رئيسا لبعثة ، عسكرية . وبهذا الاجراء الذى اتخذ غدرا بحق هذين البطلين ، تم ابعادهما عن المسرح ، بعد أن سجلا انتصارات كبيرة حتى تمكنا من تحقيق النصر الأكيد ، الأمر الذى جعل القادة فى لاغوس يشكون فى آن هذين الضابطين يملكان قوة حربية هائلة وجنودا مدربين على القتال .. فتوجسوا منهما خيفة ، ومنعوا عنهما الذخائر رغم أنهما كانا يخوضان القتال فى اقصى جبهة كان مصير بيافرا يتوقف عليها . وفى الأشهر الأخيرة ، وبعد نقل القائدين الباسلين ، سقطت بيافرا [كانون الثانى سنة ١٩٧٠ وفر أوجوكو من البلاد بعد أن أودت حركته بما يزيد عن مليون ضحية وجنى ثمار النصر من لم يطلق رصاصة واحدة ، ولم يذهب الى جبهة القتال] .

وقد اراد الاتحاد السوفياتى أن يستغل بيعة صفقة الأسلحة لنيجيريا فارسل آلاف الطرود المليئة بالكتب العربية التى تم توزيعها بواسطة جمعية الصداقة الروسية ـ النيجيرية ويضمنها كتاب

بعنوان [الاسلام : نشوؤه ومستقبله] الذى ألفه الملحق الروسى [ى . كليمونتش] والذى طبع فى موسكو عام ١٩٦٨ وفيه شتم وطعن وانكار لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد لاقى استنكارا واسعا من رجال العلم والثقافة فى نيجيريا لما تضمنه من أفكار هدامة .. واحتج الطلاب على توزيعه وانذروا الحكومة بالاضراب ، فما كان من رئيس نيجيريا الا أن أعلن ـ ذرا للرماد فى العيون ـ استنكاراً للكتاب .

وهنا قد يتساءل سائل : ما دخل الاتحاد السوفياتى ونشاطه ببحث ينصب على ما يعانيه مسلمو أفريقيا من ضغوط استعمارية غربية وصليبية وصهيونية ؟ والجواب واضح ومضحك فى آن واحد أن الكتاب المذكور جرى توزيعه بواسطة جمعية الصداقة الروسية ـ النيجيرية ، ورئيس هذه الجمعية السيد / ابراهيم ، مسيحى من الشمال يعمل مع الارساليات التبشيرية .

وتتحدث مجلة بوئج باكستان ديللى [باكستان الفتاة الاسبوعية] التى تصدر فى دكا [عدد الأحد ٢٤ تشرين الأول ١٩٦٥] عن العزلة التى يعانيها المسلمون الافارقة وتلقى مزيد من الأضواء على الأوضاع فى ليبريا ، كنموذج لما يحدث فى غرب افريقيا ، بل فى القارة جمعاء فتقول : أن الحاجة ماسة لايقاظ المسلمين من نومهم فهذه المجتمعات المعزولة ـ فى أفريقيا ـ تكاد تغرق فى وسط المحيط المتسع لاعدائها ـ بل اننا رأينا أن الصهيونية والهندوسية قد اتحدا معا [ضد هذه المجتمعات] وتسرد المجلة قائلة : وليس هناك فى ليبريا دعوة منظمة للاسلام الحق وانى كنا نرى للقاديانية بعثة تبشيرية منظمة ، وينطلق

مبشروها ليعملوا بجد ونشاط فى انحاء كثيرة من الدولة ـ ونجد أن المسلمين ، بسبب نقص التوجيه الاسلامى ، ليس لديهم الا فكرة ضحلة عن الاسلام ولذلك وبسبب عدم تنظيم البعثات التبشيرية يسهل على المبشرين تضليلهم ، حتى اننا بسهولة يمكننا أن نلمس النشاط الهائل لهذه البعثات فى كافة انحاء غرب أفريقيا ونلاحظ أن رئيس جمهورية ليبيريا وكافة أعضاء الوزارة هناك هم من النصارى . وقد كان رئيس الجمهورية مبشرا محليا فى عدد من الكنائس ، قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية ، رغم أن عدد المسلمين هناك يبلغ ٤٥ ٪ من مجموع السكان [من الجدير بالذكر أن الرئيس المذكور يرتدى ثياب الرهبان طوال يومه ، ويمارس أعماله وينتقل من دولة لأخرى وهو بهذه الثياب ، حتى أنه فى اجتماع ملوك ورساء الدول الأفريقية الذى عقد عام ١٩٦٣ فى أديس أبابا كان هو الوحيد من بين الرؤساء المتعصبين ـ من أبناء هيلاسيلاسى ونكروما ـ يلبس الزى الدينى .

أما فى الكونغو فقد بلغ النشاط التبشيرى هناك ذروته تحت حماية وتشجيع بلجيكا ، ومن ورائها الأمبريالية الأمريكية وعملائها فى المنطقة . وتكاد ترى الرهبان والقسس الكاثوليك فى كل مكان هناك .. وكلهم يعملون فى الكونغو كمتعاقدين مع الحكومة الكونغولية ويتقاضون منها رواتب شهرية . وتأتيهم من مصادر خفية أرزاق لا حصر لها يوزعونها على الأهالى . وهم يشرفون مباشرة على التعليم بجميع مراحله ، ويسيطرون بنفوذهم الدينى على كل مرافق الدولة . وقد ثارت ـ قبيل استقلال الكونغو مناقشات حادة فى الصحف والاذاعة ، امتدت حتى الوقت الحاضر حول اللغة الرسمية للبلاد ، واقترح كثيرون أن تكون السواحلية لأنها الأوسع

والأغنى . فثارت ثائرة البلجيكيين والمبشرين ومن حام حولهم بحجة أنها لغة المستعبدين العرب الذين أغرقوا الكونغوا قرونا طويلة فى البؤس والعبودية ، وبذلك نجحوا فى فرض الفرنسية لغة رسمية للبلاد .

وقد تنصر خلال المائة سنة الآخيرة عدد كبير من المسلمين على يد المبشرين ، وهناك الكثير من النصارى الذين كان آباؤهم أو أجدادهم مسلمين .. ولا تعترف الدولة بالاسلام ، وقد جمع المسلمون أنفسهم بعد الاستقلال وطالبوا بالشخصية المدنية ليكون لهم نوابهم ومدارسهم ومؤسساتهم ووعدهم رئيس الوزراء السابق [أدولا] بكل خير ، ولكنه أبعد عن الحكم قبل أن ينفذ شيئا . وقد أتهمه البلجيكيون والمبشرون بأنه مسلم وأسمه [آبدوولا] [عبد الله] وانه حذف الباء للتمويه وأن آباه سنغالى مسلم .

وعندما يولد للمسلم يجب عليه أن يعمده فى الكنيسة التى تمنحه أسما من عندها ، وإذا لم يفعل ذلك فلا يسجل أبنه فى السجلات المدنية ، ولا مكان له فى الدراسة ورغم ذلك كله فان عددا من السنغاليين والماليين والنيجيريين يقومون بدور كبير فى الدعوة الاسلامية فى الكونغو ، وادخال الناس فيه ، لكن الكنيسة تقاوم هؤلاء بشكل عنيف جدا ، وتدفع رجال الشرطة الى ذلك . فمن المناظر العادية هناك أن ترى الشرطة يسوقون العشرات منهم لوضعهم فى السجن بضعة أيام . أو طردهم من البلد دون أى ذنب مطلقا .

ومن الجدير بالذكر أن السلطات الكونغولية لا تعترف رسميا الا بثلاثة أنواع من المؤسسات التعليمية ، أولاها : المؤسسة

الكاثوليكية المرتبطة مباشرة بالكنيسة الكاثوليكية وثانيتها :- المؤسسة البروتستانتية المرتبطة مباشرة بالكنيسة البروتستانتية ، وثالثتها : المؤسسة الرسمية الملحقة بوزارة التربية وحسب احصاء اذاعة راديو [ليوبولدفيل] فانه يوجد في الكونغو ثلاثة عشر الفا وبضعة مئات مدرسة ابتدائية تبشيرية كاثوليكية ، وسبعة آلاف وبضعة مئات مدرسة ابتدائية تبشيرية بروتستانتيه ، مقابل بضع مئات مدرسة ابتدائية رسمية . كما أن هناك من المعاهد الاعدادية والثانوية للتبشيرية المئات ، يقابلها عشرات فحسب من الرسمية ، وكذلك جامعاتها ، حيث يديرها ويشرف عليها المبشرون ، والقسم الاكبر من معلميها منهم وعددها ثلاث .

ونمضي مع التقارير الواردة من الكونغو حول أوضاع المسلمين فيها ازاء النشاط التبشيري الواسع فنقرأ في أحدها [التبشير بالنصرانية يتم بهمة ونشاط كبيرين ، وأن هناك ما يزيد على ١٥ الف بعثة تبشيرية نصرانية من كل أمريكا وبلجيكا وايطاليا وفرنسا والدول الأوربية الأخرى ، وهي جميعا تعمل بجد ونشاط لتنصير السكان وفق خطة منظمة ومدروسة ، بحيث يتم تنصير حوالي نصف مجموع السكان ، ولم تدخل هذه البعثات التبشيرية ـ بالطبع ـ أى جهد لمحاربة الدين الاسلامي في هذه المنطقة ، الا انه رغم كل جهودها فانه لا يزال حتى الآن حوالي ٨٠٠٠٠٠ الف مسلم ، وهذه حقيقة مدهشة ومعجزة حية لهذا الدين الذى لا يزال صامدا لكل هجوم عليه من قبل اعدائه .. الا ان مسلمي الكونغو ـ مع الأسف ـ معزولون وغير آمنين ، وهم متأخرون ثقافيا ، ويتناقص تدينهم تدريجيا تحت التأثير الاجنبي . وليس هناك رابطة اجنبية لتهتم بشؤونهم ولذلك فان هناك حاجة ماسة

لايقاظ وتوحيد وتقوية هذه القطعة المنعزلة من الأمة الاسلامية . ولقد قدم البلجيكيون أيام استعمارهم للكونغو كل عون رسمى لانتشار المذهب الكاثوليكى ، وحصل الكاثوليك على امتياز دائم للحكم فى التعليم فى الكونغو وبالاضافة الى ذلك فانهم يعملون مديرين لهيئة تبشيرية ضخمة تعمل فى الكونغو .. أن عدد المتنصرين انه رغم كل جهودها فانه لا يزال حتى الآن حوالى ٨٠٠٠٠٠ يتضاعف بسرعة بسبب جهود الجمعيات التبشيرية من [البيض] التى لا تكل ولا تفتر عن العمل لاجل التبشير وهى تعمل تحت اشراف وبمساعدة الهيئات الأمريكية والبريطانية والاجزاء الاخرى من واربا .

وفى رسالة من م . ف . ك من الكونغو أن الكثيرين من الأفارقة ، سمعو لأقوال البعض من القسس وصدقوهم بسهولة لانهم بسطوا لهم بعض الأمور ، وتركوهم لعوائدهم القبلية دون أى تغيير ، ولم يدخلوهم فى سلم المدنية ، حتى أن للسود كتابا خاصا للصلاة يختلف عن كتاب البيض أما الآباء الكاثوليك والقسس فلديهم كل شيء كلهم شحم ولحم وتجارة ومصلحة .. كنت معتمداً ـ يقول كاتب الرسالة ـ فى تعليم القرآن على ترجمة Savazy عدو الاسلام ، بسبب لغتها القوية ، ولقد اصلحت فيها كثيراً ، وأريت الطلاب تحيز الغربيين ضد المسلمين حتى فى الترجمة .

ولن نغادر الكنغو قبل أن نقرأ معا هذا الحوار الظريف الذى دار بين قس وراهب كاثوليكيين وبين شاب كونغولى ، بعد الاستقلال ، والذى ساقه محمود القاسم فى مقالة القيم [سنوات فى الكونغو] :

الشاب : هذه حالة انتقالية سببها انتقالنا المفاجيء الى الاستقلال دون أن نـكون مهيئين لذلك ، لا فكريا ولا ثقافيـا ولا اجتماعيا ، كما تقع مسؤوليته على بليجكا التى كانت تظن انها ستبقى الى الأبد ، وسيبقى أبناء شـعبنا اجراء وخدم لديها .

القس : لا يا سيدى بل أنكم قوم لاتستطيعون الحياة وحدكم ، فمداركم ناقصة بالفطرة ، وأنا أشرح لكم ذلك وأفهمكم ليل نهار وانتم لا تفهمون ، أننى بين الفينة والأخـرى احدث نفسى بأن أغلق كنيستى وألم حاجياتى وأذهب. وأبقوا بلا كنيسة ولا دين .

الشاب : ولكن هذا يتنافى مع تعاليم الانجيل .

الراهب : لا يا سـيدى بل أن تعاليم الانجيـل هى التى تأمر بذلك ، وقولك هذا يدل على أنك لا تقرأ وهذا برهان على عدم استعدادكم للفهم .

الشاب : أن ما تمـر به شيء طبيعى ، والاسـتقلال شيء طبيعى أيضا ، وهو ثمن لما سنحصل عليه فى المستقبل .

القس : هاها الاستقلال دعنى هادئا كل البلاء آتى من الاستقلال. ولا أدل من هذا الحوار على مدى تعتق المبشر الغربى لحرية المواطن الافريقى وتقدمه واستقلاله ، ولا أدل ـ كذلك ـ على وشائج الفكر والقلب والوجدان ، تلك التى تشد المبشرين الى اخوانهم المستعمرين يقول محمود

القاسم :ويتكرر نقاى كهذا اذا اجتمع بلجيكى مع اى انسان كونغولى أو غريب .

فاذا ما تركنا غرب أفريقيا ووسطها واتجهنا شرقا لنرى ما تفعله المؤسسات الصليبية وساستها هناك ضد المسلمين فاننا سنرى الكارثة تزداد فداحة ، والمأساة تزداد وضوحا ، حيث تركة الاستعمار البريطانى الخبيثة المعقدة ، وحيث مخططات لندن التى لا تدع بلدا تغادره ظاهريا يفلت من بين يديها قبه مرور قرن من الزمان وحيث المؤسسات التبشيرية ترمى بكل نقلها ونفوذها هناك، تحت حماية وتوجيه هيلاسيلاسى رائد الوحدة الأفريقية ، وحيث يتحول النشاط التبشيرى هناك الى حركات عصيان وتمرد ضد الدول ذات الطابع الاسلامى ـ وحيث هذا هو الانكى ـ الثورات والانقلابات الصليبية الدامية المدمرة التى راحت تجتاح الوجود الاسلامى فى المنطقة باسم اليسار والتقدم ، ومن ورائها قوى الاستعمار الجديد والصليبية الحاقدة اللذين سخروا كبار عملائها فى المنطقة لكى يلبسوا لبوس التقدمية واليسار ، وينقضوا، وحشية دامية لم تشهدها عصور الغاب ، للانتقام من المسلمين هناك وابادة أكبر [مقدار] يمكنهم أن يبيدوه منهم .

وليست مذبحة زنجبار التى قتل فيها ثلاث وعشرون ألف مسلم من مجموع ستة وعشرون ألفا ، أو تمرد جنوب السودان ، او ارهاب هيلاسيلاسى ومجازره الدامية ، أو تسلط الحكومة التشادية المسيحية على رقاب الكثرة المسلمة ، بمساندة القوات الفرنسية ، ليست هذه كلها سوى حلقات معدودة فى سلسلة طويلة بدأت مع دخول أول رجل اوربى لاستعمار افريقيا او

التبشير فيها .. وستظل تمتد وتمد ، تعزل المسلمين وتقتلهم ، تبيع دمائهم وتستحيى نسائهم ، تدمر آمنهم وتسحق سلامهم ، تفصلهم عن لغتهم وتفتنهم عن دينهم ، تحرق مساكنهم وتبيد قراهم تكنس شيوخهم وتعلق شبابهم على رؤوس الاشجار وتحيل نسائهم الى آماء وجوار فى قصور السادة والمبشرين والحكام .. ستظل السلسلة الجديدة القاسية تمتد وتمتد تحميها منطقة الوحدة الامريكية ، عفوا الأفريقية ويباركها هيلاسيلاسى آبن البابوية البار ، وعميل الأستخبارات الامريكية المخلص ، وسيط اليهود الحريص ..ستظل السلسلة تمتد وتمتد ، وحكامنا هناك غافلون عما يجرى أو متغافلون ، يستقبلون بين الحين والحين زعيما أفريقيا بالقبلات والاحضان ، أو يروحون بأنفسهم لزيارة عاصمة افريقية لكى يتلقوهم بدورهم بالقبلات والأحضان .

يزورون ويزارون من قبل نفس الزعماء الذين يقتلون أخوانهم ويفتنونهم عن دينهم .. نفس الحكام ـ الاصدقاء ـ الذين يصنعون حلقات السلسلة التى ستمتد وتمتد حتى يجىء اليوم الذى يعلن فيه ، ربما فى آديس آبابا وفى بناية المنظمة التى أنشأتها أمريكا عن تصفية الوجود الاسلامى فى افريقيا السوداء ، وعن تهيئة الطريق لأعلان قيام الوحدة الأفريقية التى طال عليها الأمد .. وحدة صحيحة متجانسة لا مسلمين فيها ولا عربا .. وحدة تباركها البابوية ، وتحميها دول الغرب الكبرى ، وينفذ مراسيمها حكام صغار لا يجرآون على رفع رؤوسهم لكى يروا ، يروا فحسب ، آن الذين يسيرونهم هم أعدآء دينهم ودولتهم ووجودهم ..

ما أن أستقلت معظم بلاد شرقى أفريقيا ، أستقلالها المزعوم حتى أخذت البعثات التبشيرية من مختلف بلدان أوربا وأمريكا تزيد نشــاطها .. وراحت تنثال على القارة بأعـداد كبيرة وخطط جديدة ، حاملة معها الاموال والاغذية ، مستقدمة عددا ضخما من الأطباء المبشرين والقسس وكما تقول جريدة

[أن افريقيا الدكتور لفنفستون والسفر الطويل على الأقدام بين الغابات والصحارى ، لا تعرفها الجمعيات التبشيرية الحديثة . وان بعضهم اليــوم يستعمل الطائرات ليصــلوا الى الجماعات التى يعملون فى أرضها وآخرون يسافرون فى بيوت متنقلة مجهــزة تجهيزا طبيا .. وبعضهم يبلغ بهم الأمر ، مثــل اللوثريين فى أثيوبيا ، أن يستعملوا أجهزة أرسال لاسـلكية قوية لنشر رســائلهم] أن المبشرين الذين ما زالوا يفدون للعمل فى أفريقيا هم دائما طراز من الرجال على درجة عالية من التخصص فى الشؤون الدنيوية وكذلك فى الأمور الروحية ويوجد اليوم أطباء مؤهلون تاهيلا عاليا ومــن بينهم جراحون أفذاذ فى المراكز التبشيرية النائية . وهناك مهندسون منهمكون فى تنفيذ برامج جريئة فى الرى والكهرباء ، وآخرون من الزراعيين المؤهلين . يحاولون أن يرفعــوا مــن مســتوى قبــائل بكاملها عن طريق أدخال محاصيل جديدة ، أو أساليب زراعية أفضل ، ويبدوا أن الأفريقيين انفسهم ما زالوا يكنون احتراما أكبر للــكاهن الذى لا دراهم معــه ، والذى كان يقنع بانه يعيش بينهم ويأكل طعامهم ، أكثر من احترامهم لاعضاء الجمعيات القوية ومواعظهم الباهتة . وأسطولهم الجوى الذى يشقون به طريقهم فيما كان يعرف بافريقيا الظلماء . ذلك أن الأفارقة ، ربما أحسوا

أن مظاهر التنمية والاعمار هذه لا يراد بها وجههم ، وانها ربما تخفى وراءها هدما ودمارا رهيبا اذا ما اقتضى الامر بذلك .

وقد ورد فى تقرير للمجلس المركزى لمسلمى كينيا أن فى مدينة نيروبى ـ العاصمة ـ وحدها أربعين كنيســة مبنية بناء حــديثا يقابلها للمسلمين ثمانية مساجد قديمة وفى حالة مهلهلة . كمــا ذكر التقرير [أن الجمعيات التبشيرية تشــترى افضــل المواقع لتقيم عليها أبنيتها . وعلى واحد من هذه المواقع أقامت عمــارة ضخمة من عشرة طوابق تشغلها رئاسة المجلس المسيحىالكينى ، يقابلها مكتبنا الصغير المستأجر الذى لا يتسع لتادية أعمالنا] ولعل الرسالة التى بعث بها السيد / جمعة مبوندا . نائب رئيس المجلس المركزى لمسلمى كينيا ، الى المركز الاسلامى فى جنيف عام ١٩٦٤ ، تلقى أضواء أوضح على النشاط التبشيرى فى شرقى أفريقيا ، وعلى الظروف الصعبة التى يعيشها المسلمون هناك . وقــد جاء فيها : [.. بين الاستقصاء Survey الذى أجريناه] ان الجالية المسيحية قد وجدت نفسها تحت لواء الجمعيات الكبيرة التالية :

[ا] الكنائس المسيحية لمجلس الكنائس فى كينيا .

[ب] المجلس العالمى للكنائس المسيحية .

[ج] البعثة التبشيرية للروم الكاثوليك .

[د] كنائس اسرائيل . وهذه الجمعيات تمول تمويلا جيداً من روما وبريطانيا والقدس المحتلة وأمريــكا وفرنســا . وآن مقدرتهم على اســـتعمال دعوتهم التبشـــيرية فى التطــوير الاقتصــــادى والاجتماعى للســـكان تخلق صــعوبات عظيمة فى وجــه تقــدم

المسلمين المواطنين فى هــذه البــلاد .. أن ضــيق المسـلمين بوضــعهم تحت رحمــة الآخــرين مــن موظفى الخــدمات الاجتماعية المسيحية ، وذلك عندما يبحثون عن التعليم والمساعدات الاخرى .. وأننــا ان حصــلنا على مســاعدات خارجية فســوف نستطيع أن نتحرك بسرعة لمواجهة النشــاط المســيحى والدعاية الدينية الاسرائيليــة المتزايدين وأن نفعل شــيئا ذا بال لاستنفاذ الثقافة الاسلامية والأمور الدينية فى هذه البلاد .

وفى التقرير الذى كتبته الدكتورة زهيرة حافظ عابدين التى دعتها هيئة الصحة العالمية بالاشــتراك مع هيئــة اغاثة الطفــولة الدولية ، لجولة فى أقطار افريقيا الشرقية ، ضمن ســتة أطباء أطفال ، للاطلاع على ما يبذل هناك من جهود صحية واجتماعيــة .. فى هذا التقرير نلتقى بمزيد من الحقائق عن مآسى المســلمين هناك فى مجابهة النشاط الصليبى : [أن هذه البلاد وأن كانت مفتقــرة عموما الى معاونة كثيرة للارتقاء بالتعليــم على أنواعه ، والنواحى الاجتماعيــة والصــحية ، واســتصلاح الأراضى وزيادة الدخل .. الخ فان مسلمى هذه البلاد خصوصا يقاسون ظلمــا اجتماعيــا يدعو للاسف والحسرة . حتى فى البــلاد التى تتمتــع باكثرية مسلمة كـ [تنجانيقا] وتعدادها حوالى ١١ مليون منهــم أكثر من ٦٥ ٪ مسلمين . الحاكم مسيحى وجل الوظائف الحكومية يشغلها مسيحيون أما المسلمون فانهم فى فقر وجهل وذل اجتماعى ، ويرجع ذلك لسياسة المستعمر وأساليبه فمنذ دخل المستعمر هذه البلاد دأب على نشر المسيحية والعمل على القضاء على الاســلام [سواء لاغراض دينية بحتة بالغة فى الانتقام للحروب الصليبية ،

او لأغراض دينية ممتزجة باغراض سياسية وهو الغالب] ، وذلك على النحو الآتى : تقوم بالتعليم مدارس تبشيرية يتجنبها عادة المسلمون الذين لبثوا فى حالة جهل ، فى حين تخرج من هذه المدارس طائفة الأفريقيين الذين اعتنقوا المسيحية ، وأسندت اليهم القيادات ، وشتى الوظائف الهامة . وضع القيادات العليا فى يد أفريقى مسيحى حتى فى البلاد التى يكون المسلمون فيها الأغلبية كما قلت . ولقد علمت أنه أول ما دخل الانكليز أوغندا عزلوا الحاكم المسلم ووضعوا قانونا بالا يتولى الحكم الا مسيحى . الى جانب هذا تغلغلت البعثات التبشيرية فى كافة أنحاء هذه البلاد تشيد المدارس ودور الحضارنة [التى تربى الايتام وأولاد الفقراء على المسيحية] والمستوصفات ، وتساندها الآن الهيئات المختلفة [هيئة اغاثة الطفولة الدولية] [هيئة الصحة العالمية] وهيئة [نافيلد] و [روكفلر] .. الخ والجامعات والعلماء والأطباء .. كل هؤلاء يعمل على نشر المسيحية تحت ستار العلم ، ويساند الهيئات التبشيرية بشتى الطرق المدروسة المنظمة وهكذا نجح المستعمر فى تحويل جل ، بل كل القبائل اللادينية الى مسيحية ، [فى أوغندا وتعدادها ٨ مليون أكثر من ٨٥ ٪ مسيحيون الآن ، وفى كينيا وتعدادها ٨ مليون أكثر من ٦٥ ٪ مسيحيون] ، ولم يبقى سوى قبائل قليلة لا تعتنق ديانات سماوية . وهنا أريد أن أوضح أن المجهود التبشيرى مركز على بث روح عصبية وكراهية للمسلمين وكبرياء عليهم ، أكثر منها روح دينية ، وخلق سليم ، فهى مسيحية اسمية يسمح فيها بتعدد الزوجات .. الخ ، ما دام الشخص مسيحيا بالاسم ، ويذهب الى الكنيسة ويحقد ويتعصب ضد المسلم ويشعر بافضلية عليه هذا وقد اتخذت أساليب شتى

لاشعال روح الكراهية بين الافريقيين المسيحيين والأفريقيين المسلمين من ناحية ، وبين الافريقيين عموما والعرب المسلمين عامة من ناحية أخرى . فعملت دعاية كبيرة حول استبعاد وتسخير العرب الافريقيين فمثلا فى صالة الاجتماعات الشهيرة فى أديس ابابا ، أول ما يسترعى النظر فى شباك زجاجى كبير بجوار السلم الداخلى رسومات ملونة تمثل العربى بعقاله يقود جماعة من الزنوج الافريقيين ، مربوطين بعضهم ببعض بالسلاسل .. وصورة أخرى تمثل هؤلاء الزنوج يفكون عنهم هذه القيود ويتخلصون من هذا العربى الظالم العاتى .. وحوالى نصف متحف [تنجانيقا] بـ [دار السلام] عبارة عن صور فتوغرافية ورسومات تصور هذا المعنى ولقد قيل لى أن الأفريقى الآن يتعلم ويشبع بخطر المسلم ، ويقال له أن خطر المسلم والعربى أكبر من الخطر الشيوعى ، أما الاقلية من الافريقيين المسلمين الذين ينالون قدرا من التعليم العالى [ثانوى أو جامعى] فالجهود منصبة على افسادهم خلقيا .. مما يجعل تعاليم الاسلام أقرب للخيال منها للواقع ، ويجعل المسلم مسلما بالاسم لا غير . أما المسلمون الفقراء والجهلاء فقد بدأ بعضهم بالاغراء وللحاجة والفاقة ، يتحول فعلا الى المسيحية [كما علمت أن نسبة المسلمين فى تنجانيقا] كانت حوالى ٨٥ ٪ والآن ٦٥ ٪ فقط . فالمسلم الافريقى عموما معرفته بدينه سطحية نظرا لجهله باللغة والدين .

فاذا ما أردنا ـ بعد ذلك ـ أن نعرف الوجه الآخر للنشاط التبشيرى فى شرقى أفريقيا ، الوجه السياسى والانقلابى ، فان ثمة أمثلة وتجارب وأوضاعنا عديدة تبرز أمامنا ، ربما كان تمرد

جنوبي السودان أشدها وضوحا ويمكننا أن نضع أيدينا على أبعاد هذه المسألة من صحف السودان نفسها ، ومن التقارير لكبار الخبراء والمسؤولين والمراسلين الصحفيين . فقد جاء في التحقيق الذى نشرته جريدة الميثاق الاسلامى السودانية ، في عددها ٥١ ، ٥٢ الصادرة خلال تموز عام ١٩٦٥ عن مشكلة جنوب السودان [أننا ننظر للجنوب كمركز للنشاط] مجموعة من الشبان الطموحيين المستغلين لبذر بذور الحقد والكراهية الذين يريدون أن ينشئنا دولة أواسط أفريقيا المزمع انشاؤها والتى كانت تعمل لها الكنيسة بكل ما أوتيت من قوة حتى تعزل الشعب الاسلامى الكبير المنتشر في أطراف القارة ، وفي شمال خط عرض ١٠ درجة حتى أقصى شمالها ، وبذلك يتسنى لها وجود مركز كبير تدير منه نشاطها ، التبشيرى الموجه لبقية أجزاء أفريقيا . والى هذا أشار المؤرخ الانكليزى ب . م . هولت في كتابه [تاريخ السودان الحديث] [ص ١٤٩] كما أشار اليه بروفيسور [ليبون] اليهودى ، عميد كلية الأداب بجامعة الخرطوم سابقا ، في محاضرة القاها في أروقة الجامعة حيث قال [ان السودان سيتطور تطورا ملحوظا سنة ٢٠٠٠] .. هذا في الجزء الشمالى . أما في الجزء الجنوبى فانه سينفصل وينضم الى دولة ستنشأ يومئذ واسمها [دولة أواسط افريقيا] .. وسياسة حزب المعارضة باوغندا والدولة الجديدة في زنجبار ـ الملحقة بتنزانيا ـ لا تدع مجالا لأحد أن يشك في وجود تلك الفكرة ومن هنا نلاحظ حرص بريطانيا الشديد على اتحاد روديسيا ونياسالاند ومجهوداتها لخلق رابطة قوية من أوغندا وكينيا على أساس تمكين عملائها من الأجهزة الحكومية وأبعاد ومحاربة الوطنيين الاحرار الراعين .. وتسليط

المستعمرين الاضواء على هيلاسيلاسى وخلفه كبطل وقائد لهم ، ما هو فى الواقع الا امتداد لهذا التخطيط . ودور الكنيسة فى جميع هذه الدول هو تعميق الخلاف الدينى بين الزنوج وبين المسلمين المنافسين الوحيدين لها الآن فى أفريقيا ، وخلق شعور قوى زنجى - فى الوقت الحاضر - يخشى اعادة نظام الرق ، ويدخلون فى روعهم أن الرق ناجم خطره من المسلمين العرب . ويساعد على كل هذا الشعور بالنقص المتمكن فى نفوس هذه العناصر .. زد الى ذلك الاغراءات بالمناصب الكبيرة التى سينالها الشبان المثقفون العاملون فى الدولة المزمع انشاؤها وعلى هذا فان الكنيسة والقوى الاستعمارية تقوم بتقديم جميع التسهيلات - المادية والأدبية - عن طريق حكومة الأحرار لجنوب السودان وغيرها من الحكومات التى ترضخ لسيطرتها لتقوم بتنفيذ البرامج الموضوعة .. وخطة فصل جنوب السودان وضمه لدولة [أواسط افريقيا] المزمع تكوينها تقوم على مراحل عديدة . أولها سياسة العزل الاجتماعى بين الشمال والجنوب حيث لعب الانكليز دوراً حاسما فى هذا المجال ، ثم ياتى دور المرحلة الثانية وتقوم على تكوين حكومة للجنوبيين فى المنفى [بأوغندا] الآن وربما تنتقل الى أثيوبيا أو كاتنجا بعد حين . تتلقى هذه الحكومات مساعداتها من الكنيسة وعملائها - كهيلاسيلاسى مثلا - ومن وزارة المستعمرات البريطانية وكل الحاقدين على السودان كاسرائيل وجومى - سابقا وربما تميل باى - رئيس تشاد المسيحى - بعد حين ومهمة الكنيسة الرئيسية - فى الماضى والحاضر - هى تقديم كل المساعدات الضرورية والاستمرار فى تحريض المتعلمين حتى تتأكد من أن أرواحهم المعنوية

عالية وانهم يقومون بدورهم كاملا .. وتقوم بكل ذلك تحت ستار العطف على حمايتهم من الظالمين كما تقتضى تعاليم المسيح عليه السلام .. أما وزارة المستعمرات البريطانية وعملاء الكنيسة وأعداء السودان فأن مهمتهم ، الى جانب العون المادى ، كسب العطف الخارجى للحركة ، وضمان سلامة بقائهم بأوغندا ومدهم بتذاكر السفر عندما تنتقل المعركة الى خارج البلاد وكل هذا يعمل فى خفاء تام وبواسطة بعض الأجراء المخلصين حتى لا تنفضح خططهم الاستعمارية . وفى الوقت ذاته تعمل الوسائل الدبلوماسية للضغط على حكومة السودان لكيلا تقدم على طرد المتبقى من القسس المشرفين على الخطة والمحرك الأساسى - من البلاد ، لأن طردهم يعنى فشل الحركة - ثم يأتى دور الخطة العسكرية - .. ومما يزيد دور الكنيسة فى حركة جنوب السودان وضوحا ، النبأ الذى قامت حكومة السودان بنفيه رسميا فى تشرين الثانى عام ١٩٦٥ ، والذى أذاعه راديو الفاتيكان من أن الجيش السودانى قتل فى واد [ارينيو دور] النائب الاسقفى فى مديرية [بحر الغزال] ، وقالت فى معرض نفيها أن الاسقف يتمتع بصحة جيدة ، وقد دهشنا لسماع الخبر بوفاته .

وفى رسالة من [لوستر هوفن] بالمانيا الغربية لعبد الرحمن ناولو ، ايضاحات أخرى حول دور الكنيسة المكشوف فى مشكلة جنوب السودان ، ويقول : [فوجئت فى صحيفة Passaner bistams Platt الكاثوليكية المحلية التى تصدر بمدينة [باساو] بمقال عن السودان ملىء بالصور ومعنون بالخط الأحمر العريض : [حرب ابادة ضد المسيحية فى السودان - كفاح البلاد الشيوعية للكنيسة صورة لمكافحة حكومة السودان للكنيسة]

.. ولقد ملىء المقال بالشتائم وبحملة لئيمة على السودان المسلم حكومة وشعبا ودينا .. فكتبت الى الجريدة المسيحية موضحا الحقائق ولكنها لم تنشر كلمتي] .. هذا وكانت الصحف الأوربية قد درجت على افساح المجال لحملة منظمة ضد السودان منذ عام ١٩٦٢ . وطفقت تلك الصحف تصور ما أسمته باضطهاد المسيحيين في جنوب السودان تحت عناوين ضخمة بارزة . وفي التحقيق الذي نشرته مجلة [الديلي تلغراف] الاسبوعية الصهيونية عن جنوب السودان في عددها ١٨٦ الصادر في ٢٦ نيسان ١٩٦٨ ، مثال واضح لتلك الحملات ، اذ جاء في الصفحة الأخيرة من التحقيق تحت عنوان [تاريخ العبودية] : [.. في السودان عنصران لا يجمعهما عمليا شيء مشترك ، بصرف النظر عن الخط الذي رسم حول اراضيهم بعد انتصار [كتشنر] في [أم درمان] منذ أقل من سبعين عاما .. وقد كان سكان الجنوب وتعدادهم ثلاثة ملايين ونصف ، لقرون عديدة المادة الخام لتجارة الرقيق التي تمركزت في القاهرة والخرطوم . ولقرون عديدة أيضا أعتبر الشماليون الجنوبيين لا شيء أكثر من عبيد سواءا كانوا فعلا عبيدا أم أن بالامكان أن يصبحوا عبيدا . وأثناء جيلين من الحكم البريطاني بقي وضع المستعمرة القديمة معلقا ، ولم تبذل الادارة البريطانية أي جهد لدمج جزئي القطر حتى آخر لحظة .. وعندما سلمت بريطانيا السودان كله في عام ١٩٥٦ ، كقطر سياسي مستقل ، الى الاحزاب الشمالية التي يسيطر عليها العرب ، اصبح السودان جميعا ـ رسميا ـ مصبوغا بالصبغة الاسلامية . وبقي التعبير الشائع في أفواه الشماليين عن أهل الجنوب كما هو : [عبيد] .. وفي عام ١٩٦٣ [عندما قام التمرد في الجنوب]

أجابت الخرطوم على ذلك بأن أطلقت يد الجيش هناك ، وعندها قامت حملة ارهاب ورعب أدت الى مغادرة رجال القبائل الجنوبية الى الكونغو وأوغندا وأثيوبيا بصفة خاصة ، وربما قتل عدة آلاف من الجنوبيين ، وأحرقت مئات من القرى المبنية بالطين والقش ، وفرت أعداد تتراوح بين مائتى ألف وأربعمائة ألف . وقد أدارت منظمة الوحدة الأفريقية ظهرها - غالبا - لكل دولة عضو فيها تجابه معضلة انفصالية من نوع ما . والجنوب كله اليوم مشتبك فى القتال وليس من المحتمل أن يبدأ من أجل شيء أقل من الانفصال .

ولكن ما هى البذور التى غرستها المؤسسات الكنيسية والاستعمار فى أرض السودان ، والتى أنبتت ، فيما بعد ، هذه الثمار المرة التى يعانى منها السودان ، والتى تهدد بالانقسام فى كل لحظة - أنها فى الحقيقة - قصة كل دولة فى أفريقيا ، نفس البذور ونفس الثمار ، والزارع هو الزارع - الاستعمار والتبشير - أما حراس الزراعة فهم حكامنا أنفسهم أولئك الذين لم يعدوا يوما أن يكونوا كخيالات المآتة التى يضعها المزارعون فى بساتينهم كى تحمى بذورهم ونبتهم الذى لم يستو على سوقه ، من جوعات الطيور . ولنقرأ القصة من سطورها الأولى :

جاء المبشرون الى السودان - حسب العادة - مع المستعمر فى وقت واحد ، وتمكن الأسقف [جوين] الذى يعتبر مؤسس المدارس التبشيرية فى السودان أن يؤسس عددا كبيرا من المراكز التبشيرية تحت رعاية السلطات الاستعمارية . وقد قامت هذه السلطات بعزل جنوب السودان عن باقى القطر ، وكان يعتبر

منطقة مقفولة أمام المواطنين الشماليين ، ولا يستطيع الانسان ان يسافر الى الجنوب الا باذن خاص ولم يكن يسمح للمسلمين مطلقا أن يبشروا بالاسلام بين القبائل الوثنية بل لم يكن يسمح لهم بتادية شعائرهم الدينية علنا خوفا من اقتداء الوثنيين بهم . هذا فى الوقت الذى كانت تبذل فيه الحكومة كل المساعدات للتبشير المسيحى وعمل المبشرون بنشاط ، ونصروا عدداً كبيرا من الجنوبيين [٣ ملايين] وكانوا يتمتعون بسلطات واسعة ونفوذ كبير تحت حماية الاستعمار ، فالمال وآفر بايديهم ، ورغباتهم مجابه ، وكل امكانيات الدولة مسخرة لخدمتهم ، حتى التعليم تركه الانكليز فى أيديهم . فبدلا من آن تتولى الحكومة الاشراف على التعليم تولاه المبشرون . وما دامت الفرصة الوحيدة فى الجنوب هى المدارس التبشيرية ، فقد ضمن المبشرون تنصير كل العدد الذى تستوعبه مدارسهم . وهم يأخذون الأطفال منذ نعومة أظافرهم فى مدارسهم حتى المرحلة الوسطى . والعجيب ان وزارة المعارف كانت تدفع ٩٨ ٪ من نفقات المدارس التبشيرية ولا تشرف عليها ، ومعنى ذلك ان أموال الشمال كانت تنفق على تنصير أبناء الجنوب . أما فى الشمال فقد كان الوضع يختلف قليلا فقد كانت توجد المدارس الحكومية الى جانب المدارس التبشيرية ، والمدارس الحكومية كانت ملزمة بتدريس الدين الاسلامى لسبب بسيط هو أن جميع الطلاب مسلمون .

أما الطلاب فى المدارس التبشيرية فكانت المسلمة لا تجد الفرصة لدراسة الدين الاسلامى لأن المدارس التبشيرية لا تسمح بذلك . وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، فان التلاميذ المسلمين كانوا يجبرون على قراءة الانجيل وحضور دروس الديانة المسيحية ..

وخريجو هذه المدارس على العموم لا يعرفون أبسط مبادىء الاسلام ويجهلون التاريخ الاسلامى جهلا تاما . انهم لم يصبحو مسيحيين ولكنهم جردوا من كل علم بالاسلام . ولكأنما شعر المبشرون بأن الاستقلال [١٩٥٦] يعنى أنتهاء الوضع الممتاز بالنسبة لهم وزوال الحماية الانكليزية التى وجدوا فى ظلها الحرية المطلقة فى احتكار التعليم . أن مجرد المساواة فى الفرص وحصول المسلمين على امتيازات مماثلة أدخل الذعر فى نفوسهم .. ولعل هذا هو سبب التمرد .. وجاء الاستقلال وظهر بوضوح أن عدداً كبيرا من المبشرين لم يشأ أن يتخلى عما كان يمارسه للاستعمار من نشاط سياسى ، فكان لا بد من وضع حد لهذا العبث ورسم خط فاصل بين التبشير والعمل السياسى ومن ثم أجيز قانون الهيئات التبشيرية سنة ١٩٦٢ . وقبل أجازة هذا القانون مارست وزارة المعارف حقها فى الاشراف المباشر على جميع المدارس التبشيرية وفق البرنامج التعليمى العام ، فثارت ثائرة الهيئات التبشيرية واعتبرت هذا العمل انتهاكا لحرية التبشير وغصبا لحقوقها التى تمتعت بها طوال عهد الاستعمار .

لم يطق الجنوبيون الوضع الجديد واعلنوا تمردا أحبطته الحكومة السودانية التى كان هدفها من توحيد السودان شمالا وجنوبا هو تعريب الجنوب ــ أن لم نقل اسلامه ــ وفرضت اللغة العربية كلغة رسمية فىدوائر الحكومة والتعليم .. ولذا وجد كثير من المبشرين صعوبة فى استمرارهم فى عملهم بل المحافظة على أوضاعهم فالمبشرون الآن يعملون هناك فى ظروف صعبة .. ومن حسن حظهم أن عمدوا منذ عملهم هناك الى تدريب أبناء الجنوب المتنصرين على القيام باعمال التبشير . وهكذا بالرغم من قصر

مدة العمل التبشيرى هناك وتاريخه لا يتعدى ستين عاما ، فقد عمدت الكنيسة الانكليكانية اثنين وثلاثين قسا وستة مبشرين افريقيين .. وهكذا الأمر هو العمل الثابت المطلوب لابقاء طوائف الكنيسة كلها متماسكة أمام ما ينتظرها من أيام حالكة السواد .

وقد بدأ تحسن ظاهر منذ مدة قريبة فى أوضاع التبشير فى السودان ، فبالرغم من أن الحكومة طردت مائة مبشر ، فقد تمكن مبشر انكليزى أن ينال تاشيرة اقامة دائمة فى السودان ويعيد العمل التبشيرى هناك .

وننتقل الى موزمبيق ، المستعمرة البرتغالية الممتدة على الساحل الجنوبى الشرقى لافريقيا .. صورة أخرى من صور الحصار القاسى الذى يعانيه الاسلام والعربية على أيدى قوات الاستعمار وزبانيته من المبشرين الذى ادركوا بوضوح أن أى تهاون فى هذا الحصار سوف يقرب ـ حتما ـ أجل الاستعمار والتبشير وينقل موزمبيق الى الحرية والخلاص ، ذلك بما يتمتع به الاسلام من قدرة فذه على تحريك اتباعه ضد قوى الغزو والتسلط والتعصب .. ودفعهم الى الثورة الدائمة والجهاد العنيف حتى تتحقق اهدافهم التى يلزمهم بها القرآن الكريم .

وفى تقرير عن الاسلام فى موزمبيق نجد كيف أن البرتغاليين اعتمدوا أربعة أساليب للقضاء على الاسلام وهى : استخدام القوة العسكرية والبوليسية ضد الزعماء الاسلاميين وبالأخص فى الشمال .. تعطيل الدراسات الاسلامية .. منع استعمال اللغة العربية ووضع جميع نظم التعليم بين يدى المبشرين الكاثوليك من البرتغاليين .. عزل جميع مسلمى موزمبيق عن الاتصال بالعالم

الاسلامى .. لقد كانت الضربة القاصمة للتعليم الاسلامى فى موزمبيق تلك الاتفاقيــة التى وقعتها البرتغال مع الفاتيكان ســنة ١٩٤٠. والتى تحول أمر تعليم الافارقة الموزمبيقيين بموجبها الى يد الكنيسة البرتغالية الكاثوليكية وقد طبقت هذه الاتفاقية تطبيقا فعليا بقانون التبشير الذى جعل أمر التعليم فى يد الكنيسة الكاثوليكية ، والذى جعل من المتعــذر على الجماعات المســلمة فتح المدارس لتعليــم أبنائها . وهذا يعنى أن التعليم فىموزمبيق يصــبح ممــكننا فقط بالنسبة للجماعات المسيحية ، وما عداها فلا ، وبالتالى جعل عدد المسلمين المتعلمين قليلا جدآ بالقياس للأقلية المسيحية التى هى أيضا لا تجد العناية التامة فى التعليم من الكنيسة . ان الوســيلة الوحيدة للموزمبيقى المسلم فى التعليم هى أن يهاجر الى خارج البلاد ، وهــذا أمر متعــذر فى غاية الصــعوبة . وبينــما تميزت موزمبيق بروح الوحدة والتضامن بين مختلف عناصرها ســواء أكانت اسلامية أم غير اسلامية ، بالرغم من المحاولات البرتغالية لاحداث الانقسامات فى السنوات الأربع الأخيرة ، فقد حاول بعض الافريقيين المفتربين الذين تلقوا تعليمهم فى الارساليات ، ثم تلقوا اعانات للدراســة فى البرتغال ، ادخال عنصر معــاد للاسلام فى موزمبيــق . لقــد أدرك هــؤلاء أن أيام البرتغاليين فى موزمبيــق محدودة ، وظهر بوضــوح عزمهم على الحلول محــل البرتغاليين كعنصر حاكم ، وبالتالى انشاء وضع كالذى شاهدناه فى عدد من البلدان الأفريقية حيث تسيطر عناصر من الأقليات المسيحية التى تلقت تعليمها فى الارساليات ، على الأغلبية المسلمة التى لا تملك حتى تلك النخبة من المتعلمين وقد تلقت هذه العناصر من الافريقيين المفتربين المتجمعة فى منظمة تدعى [فريلمو] تأييدا حماسيا من

الاسرائيليين والامريكان ومن بعض الاقطار الأفريقية المتأثرة بالاسرائيليين والتى تملك نظاما اجتماعيا كذلك الذى تريد منظمة [فريلمو] فرضه على موزمبيق اذا وجدت الفرصة لذلك . وقد أدركت عصبة مسلمى موزمبيق هذا الوضع والتهديد الناشىء عن التدخل الاسرائيلى ، ونقص المتعلمين وسط مسلمى موزمبيق ، واتخذت خطوات لتجنب الكارثة التى تنتج عن هذا الوضع . ويهدف برنامجها الى البحث عن عون الاقطار المسلمة لتوفير التعليم لشباب موزمبيق المسلم ، واعداد كادر قيادى من المتعلمين ، وهو أمر حيوى لتمكين الشعب المسلم فىموزمبيق من أن يلعب دوره الصحيح والطبيعى فى موزمبيق المستقلة ، علما بأن نسبة المسلمين فيها يبلغ الثلث ، بينما تبلغ نسبة المسيحيين بين ١٠ ـ ١٢ ٪ والباقى من الوثنيين .

أما مأساة المسلمين فى تشاد الواقعة الى الشرق من السودان ، والتى اطلعنا على بعض فصولها لدى استعراضنا للنشاط الصهيونى فى القارة ، فانها لا تقل مرارة عن مآسيهم فى أقطار افريقيا الشرقية الأخرى ، سيما وأن القوات الفرنسية تتدخل باستمرار الى جانب حكومة الأقلية المسيحية لكبت ارادة الأكثرية الساحقة من المسلمين وهضم حقهم الطبيعى فى حكم وطنهم وأرضهم . ولقد طبق الفرنسيون هنا ما طبقه الانكليز والبرتغاليون وغيرهم ، فى البلاد الأفريقية الأخرى ، من اتباع أساليب التمكين لغير المسلمين وتوليتهم الحكم حتى يكونوا أداة طيعة فى أيديهم ، وحتى لا يقوى المسلمون ، وبالتالى لا يسود النظام الاسلامى الذى يعتبره الاستعمار الخطر الأكبر الذى يهدد سياسته وكيانه .

وقد كتب السيد جون كولى Joon Gooley
مراسل جريدة [كريستيان ساينس مونيتور] من بيروت ، فى مقال تحليلى له عن علاقة السلطة المسيحية التشادية بالقوات الفرنسية فى مجابهة الثورة الاسلامية تلك التى تقودها جبهة التحرير الوطنى التشادى [فرولينا] قائلا : أن رئيس جمهورية تشاد تومبال باى قد طلب واستلم من الرئيس الفرنسى ديغول مساعدات عسكرية من القاعدة الفرنسية المتمركزة فى فورت لامى عاصمة تشاد . أن قطاع الطرق قد أجهزوا على القوة العسكرية لحكومة تشاد ، وذلك تبعا لما ذكرته وكالة الأنباء الفرنسية .. أن [مسلمى تشاد] ، كأشباههم قبائل الهوسا المسلمة فى نيجيريا ، وكذلك المسلمين فى جمهورية النيجر ، يرفضون أن يقادوا من المسيحيين والوثنيين الجنوبيين [!!] هذا وأن نصف الشعب التشادى ينتمى الى الاسلام [!!] وهؤلاء يبلغون ٣ر٥ مليون نسمة بينما تبلغ نسبة الوثنيين ٤٥ ٪ فقط .] ونحن نعرف مما ذكره T. H. P. Sqiler
عميد الدراسات التبشيرية فى الولايات المتحدة فى كتابة The Moslim Faces The Fate أن نسبة مسلمى تشاد تبلغ ما بين ٧٠ الى ٩٠ بالمائة] . ويمضى المراسل الفرنسى قائلا : [والمسلمون عبارة عن خليط من سكان الجبال الشمالية والصحارى ، وهم ينتمون الى أصول عربية وبربرية ، بينما ينتمى الجنوبيون الى العروق الزنجية ، وهؤلاء الحاكمون الآن وهم يتكلمون الفرنسية . أن الرئيس تومبال باى ، وهو المسيحى ذو الثقافة الفرنسية ، قاد القطر نحو الاستقلال عن فرنسا [!!] ثم تبوأ الرئاسة عام ١٩٦٢ ، ومن المؤكد اعادة انتخابه من قبل

المجلس الاتحادى للانتخابات فى ربيع ١٩٦٩ [وقد انتخب فعلا] .. هــذا وان حزبه الحاكم تقــدم تشــاد Prog. Tshadieme قد أقر الاتفاقيات الدفاعيــة مع فرنســا والتى بموجبهــا تقاتل القوات الفرنسية الثوار المسلمين . كما أنه أقر فى مؤتمره الاخير المنعقد فى كانون الثانى ١٩٦٧ وضع الخطط لاستخدام المســاعدة المالية الفرنسية فى مشروع تخطيط خمسى ينتهى فى سنة ١٩٧٠ . وينادى الحزب ببنــاء الطرقات فى المنطقة الجنوبيــة ، وهى التى يركز عليها الاهتمام فى التنمية . لكن المسلمين البدو المحافظين فى الشمال يشعرون أن ســلطات تشــاد تتجاهلهــم .. ان الاحــزاب السياسية الثلاث والتى يسودها المسلمون تعمل فى المنفى ضــد حكم تومبال باى .. وفى عام ١٩٦٥ ، وهو العام الذى سحبت فيه الحاميات الفرنسية من الشمال ، أقام الثوار المسلمون حكومة فى المنفى أسمها [جمهورية تشاد الاسلامية] ومركزها الخرطوم .. ثم بعد أشهر من قتال الحدود تحسنت العلاقات ما بين تشــاد والسودان فى عام ١٩٦٧ [!!] .. أما الجار الشمالى لتشــاد وهو ليبيا فانه لا يعطى أى اهتمام للمسألة ، فليبيا [الكلام عام ١٩٦٨] لا تود ازعاج مجهودات تومبال باى لتطوير دولته [!!] .. ولكن المسلمين الذين تقاتلهم الآن السلطات الفرنسية ، خاصة الفرقة الاجنبية French Foveign Legion لا يؤمنون بهذه الحدود ..

فاذا ما جئنا الى الصومال ، ذات الاغلبية المطلقة من المسلمين، فاننا سنجد أنه لم يكن بالامكان هنا تنفيذ لعبة [الاقلية المسيحية المثقفة الحاكمة للاغلبية المسلمة الفقيرة الجاهلة] كما حدث فى

معظم الأقطار الأفريقية ذات الأكثريات الاسلامية ، وأن كان المبشرون قد قاموا بنشاط محموم من آجل ايجاد هذه القاعدة المسيحية في الصومال ، كي تتولى كراسي الحكم اثر خروج قوات الاستعمار القديم ، وفق الطريقة المعروفة .. كما أنه ليس بالامكان ـ كذلك ـ أثارة تمرد طائفي في منطقة ما من البلاد ، اذ ليس هناك العدد الكافي من المسيحيين . وأذن فان خير أسلوب لتحطيم قوى المسلمين الصوماليين الحاشدة ، والتي تشكل خطرا على الوجود المسيحي في شرق افريقيا ، هو تمزيق الشعب الصومالي واقتطاع أراضيه ، وضمها الى الدول المجاورة ذات القيادات الصليبية وبخاصة الحبشة .. وامبراطورها الشجاع [!!] وهذا سيؤدي ـ بدوره ـ الى عزل الصومال واحاطتها بحلقة متينة من الأعداء ، كما سيؤدي الى تضييع طاقاتها وشلها عن العمل والتفكير على المستوى الاسلامي المطلوب ، باعتبارها رأس الحربة في قلب أفريقيا الشرقية ، وذلك عن طريق اغراقها وتدويخها بمشاكل الحدود التي نجحت تجربتها في عديد من الدول الاسلامية وعلى رأسها باكستان .. وكي يحكم الاستعمار والتبشير حصارهما ضد الصومال ، منعا وصول صوتها الى اخوانها العرب المسلمين كي لاتشكل معهم حلفا أو اتحادا يهدد كيان الاعداء هؤلاء ، ونفخوا ـ في الوقت ذاته ـ في عقول حكامنا القريبين من المنطقة ألا يلتفتوا الى اليد الصومالية الممتدة اليهم ، عبر الحصار ، تطلبمنهم اتحادا أومساعدة أو عقد اتفاقيات سياسية أو ثقافية ، أو ـ على الاقل ترجوهم السماح لها بالدخول الى جامعتهم العربية العتيدة .

[ان قصة تمزيق الصومال المسلم لا تختلف بشيء عن قصة تمزيق وطننا العربى ، فهى ترجع الى مؤتمر برلين الذى تقاسم فيه المؤتمرون الأراضى الصومالية ، بحيث استولت بريطانيا على الجزء الساحلى المشرف على خليج عدن وأسمته محمية الصومال .. واحتلت ايطاليا الجزء الجنوبى الذى عرف فيما بعد بجمهورية الصومال الحديثة .. وأخذت فرنسا ساحل الصومال الفرنسى ، واقتطعت بريطانيا جزءاً آخر هو الذى الحقته بكينيا لدى نيلها الاستقلال عام ١٩٦٣ والمسمى ب [انفدى] .. وأخيرا احتلت الحبشة نصيبها المسمى باقليم [أوغادين] .. وقد تم هذا كله فى نهاية القرن الماضى ، رغم أن بلاد الصومال كانت تتمتع بوحدة جغرافية وسياسية وتاريخية ، والسكان جميعا يتكلمون لغة واحدة ويدينون بدين واحد هو الاسلام ، ويتفقون فى اللون والتقاليد .. ولقد صاحبت هذه العملية حركة تبشيرية واسعة قوبلت من الشعب الصومالى باعلان ثورة عارمة حمل راية الجهاد المقدس فيها محمد بن عبد الله حسن استمرت ٢٥ سنة أحرزت خلالها انتصارات رائعة لازالت مضرب الأمثال .. وعندما وضعت الحرب الثانية أوزارها وانتصر الحلفاء على دول المحور ، عقدت بريطانيا مع الحبشة اتفاقا نص على اعتبار اقليم أوغادين منفصلا عن الحبشة وتتولى القوات البريطانية ادارته . وعندما بعثت الدول المنتصرة مندوبيها الى مقديشيو العاصمة سنة ١٩٤٨ لمعرفة رغبات الشعب الصومالى ، أجمع الشعب على أن تتولى الدول الأربع الكبرى ادارته تحت اشراف الامم المتحدة لمدة عشر سنوات تنتهى بالاستقلال التام . وبعد هذا عمدت بريطانيا الى مؤامرة شبيهة الى حد كبير ربما فعلته فى فلسطين ،

فسحبت قواتها من الاقليم الموضوع تحت وصايتها ، ومهدت لدخول القوات الحبشية اليه بعد اتفاقية سرية عقدتها مع حكومة الحبشة عام ١٩٥٤ .. ولقد قررت الحبشة وجوب اخضاع المنطقة الصومالية بالحديد والنار ، وارتكبت فى سبيل ذلك افظع الجرائم ، واستخدمت كل الوسائل الممكنة لمقاومة رغبات الصوماليين فى التحرر والانضمام الى الوطن الأم ، فأغلقت مكاتب حفظ القرآن ، واعتبرت تعليم اللغة العربية جريمة يعاقب عليها القانون ، وقامت بسلسلة من الاعتقالات والنفى ، ورفضت أى مفاوضة على مبدأ تقرير المصير ، أسوة بما فعلته ارتيريا .. الأمر الذى ادى الى اشتعال نار ثورة مسلحة فى الاقليم بتاريخ ١٦ تموز ١٩٦٣ بقيادة الزعيم [مختل طاهر] ، وتقرر تأليف حكومة مؤقتة ومجلس أعلى لقيادة الثورة .. وتقف الدول الاستعمارية واسرائيل الى جانب الحبشة فى محاولتها افناء هذا الشعب المسلم الثائر ، ولقد اشترك الضباط الاسرائيليين فى المعارك التى دارت بين قوات الثورة والجيش الحبشى حيث تولوا تدريب هذا الجيش ورسم خططه ..

واذا ما انتهينا من تجوالنا السريع هذا بالحبشة ، فان المجال لن يتسع بحال من الأحوال لاستعراض وتحليل أبعاد النشاط الصليبى ومؤسساته التبشيرية والسياسية ضد مسلمى المنطقة خاصة وأفريقيا عامة ، سيما وأن أبحاثا ومؤلفات عديدة كتبت عن هذا الموضوع ، فضلا عن الدراسات والتقارير والبحوث القيمة التى اصدرتها جبهة التحرير الارترية بهذا الصدد .. ذلك أن هيلاسيلاسى ،تلميذ الفاتيكان وعميل الأمريكان المخلص ، لم يدع بافعاله وخططه وجرائمه زيادة لمستزيد ، طيلة العقود المتتالية

التى حكم فيها هذا الجزء الحيوى من شرقى افريقيا .. أما الوجه الثالث لهيلاسيلاسى : سبط يهوذا ، الوجه اليهودى ، فقد التقينا معه عبر استعراضنا للنشاط الصهيونى فى افريقيا ، رغم أن هذا التفريق - الظاهرى - بين وجوه هيلاسيلاسى الثلاث لا أساس له من الواقع .. اذ تلتقى وتمتزج فى شخصيته ونشاطه دماء هذه الوجوه جميعا دون فواصل بينها ولا حدود : تلميذ الفاتيكان ، وعميل الامريكان ، وسبط يهوذا .

ونكتفى هنا بأن نشير الى ما يؤكده هيلاسيلاسى نفسه دائما من [أن الحبشة جزيرة مسيحية فى محيط اسلامى] وأنه اتخذ منها - كما يقول الشيخ محمد العبودى أمين عام الجامعة الاسلامية الذى زار ، الحبشة فى ظروف صعبة وكتب مذكراته هناك - منطلقا لتوجيه النشاط المسيحى الهائل الى داخل الحبشة والى المناطق الافريقية الأخرى القريبة منها ، وخاصة لتنصير الوثنيين الأفريقيين . أما بالنسبة للمسلمين فان النشاط التبشيرى فى الحبشة لم يحرز الا نجاحا جزئيا حيث استطاع تغيير دين بعض أطفال المسلمين الذين رباهم فى ملاجئه حتى أصبح يوجد بعض العائلات التى بعض افرادها مسلمون وبعضهم مسيحيون .

ونظرة سريعة الى الأرقام التالية تبين لنا حجم هذا النشاط المسيحى وامكانياته العظيمة . فقد جاوز عدد المدارس التبشيرية المائة مدرسة تابعة لكل من الولايات المتحدة وايطاليا وأسبانيا والبرتغال والسويد والنرويج وفرنسا وبريطانيا وألمانيا . ويبلغ عدد مدارس الكنيسة الحبشية ستة وتسعون مدرسة ، ويزيد عدد المدرسين فى المدارس المسيحية كلها فى الحبشة عن ثلاثة آلاف

مدرس معظمهم من القساوسة والرهبان . وتتدفق المساعدات المالية على المدارس المسيحية من خارج الحبشة ، كما تملك الكنيسة الحبشية اقطاعيات كبيرة وأملاكا واسعة فى داخل الحبشة .. هذا الى أن المدارس الحكومية تعتبر فى واقعها مدارس تبشيرية اذ تدرس الديانة المسيحية فيها بشكل واسع .

وتعد الكنيسة القبطية ، التى تضمها قبيلة [امهرا] الحاكمة، المالك الرئيسى لمعظم الأراضى فى أتيوبيا ، وهى تدير نظاما اقطاعيا من مقاسمة المحاصيل Debt Peongge الأمر الذى يمنع أى تقدم زراعى .. ورغم أن المسلمين يكونون ٦٠ ٪ من مجموع الشعب الأيوبى فانهم فاقدون لكل الحقوق الانسانية فلا يوجد من بينهم وزير أو حاكم أو سفير أو مدير فى كل أثيوبيا . وتبعا للتقسيمات الادارية لأيوبيا فانها ، تضم ١٢ مقاطعة يحكم كلا منها أمير Duke ولا توجد مقاطعة واحده يحكمها مسلم ، حتى فى المناطق الاسلامية الصافية . وتنقسم كل مقاطعة من هذه المقاطعات الى ٧٤ قسما اداريا يحكم كلا منها حاكم ، ولا يوجد بين ٨٨٨ حاكم لهذه الاقسام مسلم واحد [!!] والمسلمون — فضلا عن ذلك — يعانون من أسوأ تمييز عنصرى فى التعليم ، بل من الحرمان الكامل من التعليم تقريبا . فمثلا من بين ١٤٠.٠٠٠ طالب أثيوبى لا يوجد سوى ٢٠٠٠ طالب مسلم فقط ، أى بنسبة ١٫٠٤٪ . أما مقدرات المسلمين الاقتصادية ومزارعهم فانها تعانى من الاحتلال التدريجى على الطريقة الصهيونية ، من قبل الامهريين أو الكنيسة القبطية أو منهما معا ، الأمر الذى زاد من المساحات الحيازية للكنيسة القبطية حتى وصلت الى ٩٠ ٪ من المساحة الكلية

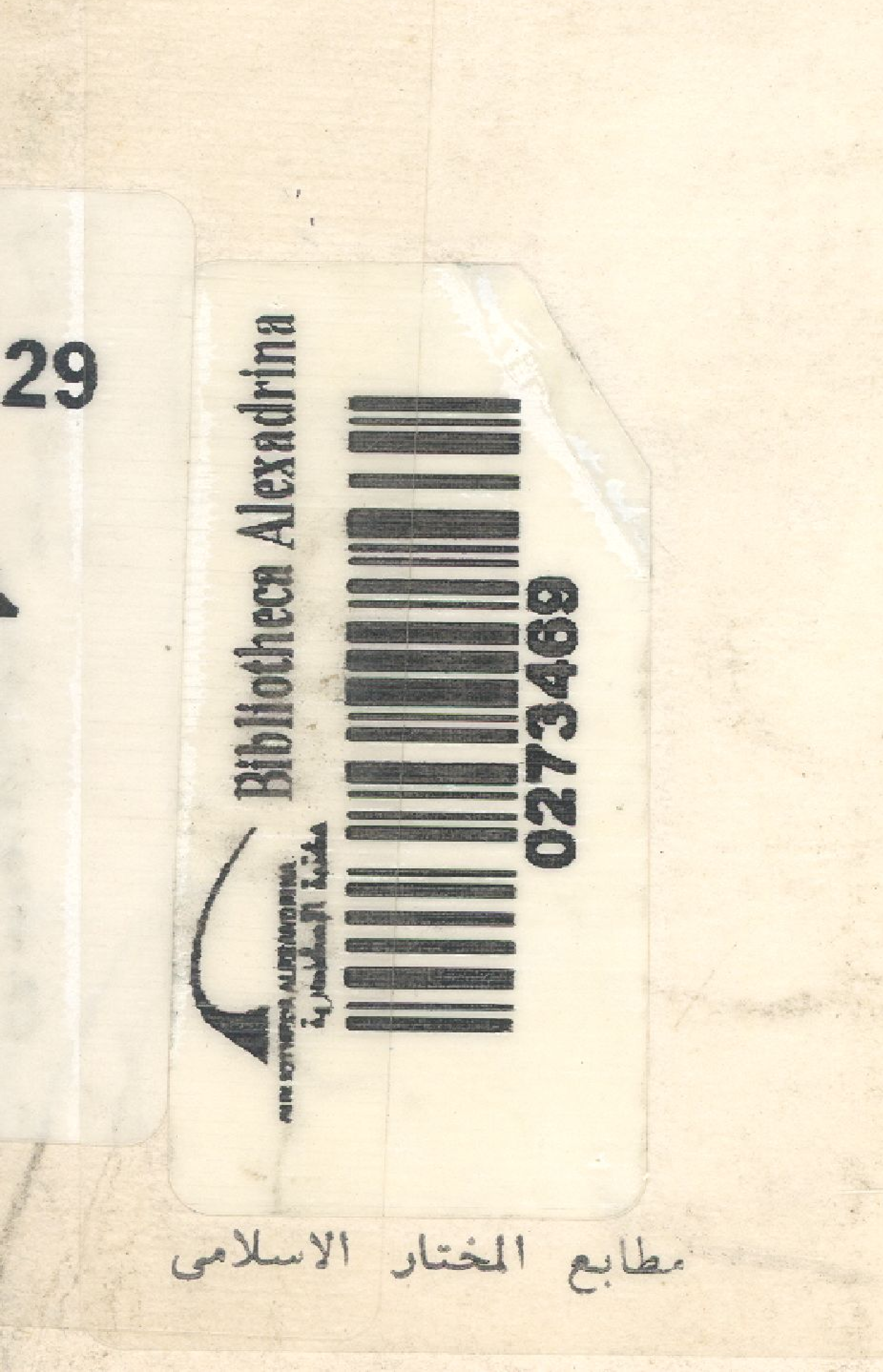
للاراضى الزراعية فى أثيوبيا .. ومن الأمثلة على المناطق التى تتعرض لهذا الغزو الشديد : والو Wallo هرر Harar مروس Arossi ، جما Gimma هـذا وان معارضة ذلك الاحتلال يعرض السكان المسلمين لنقمة القوات المسلحة وللمجازر الجماعية كما حدث ويحدث فى فلسطين تماما ، وأكثر من ذلك فان المسلمين يحولون الى نظام خدمة عبودى لم يعرفه التاريخ فى أسوأ عصوره ، وهو ما يطلق عليه نظام Gabbars . وجميع المسلمين مجبرون على دفع ضريبة خاصة للكنيسة يطلق عليها Moralimcome فى نفس الوقت الذى يبذر فيه الامبراطور العجوز أموال المسلمين والدولة على بناء الكنائس فى مقدمة كل مدينة أو قرية اسلامية ليعطى الأجانب تصورا خاطئا . ومنذ اللحظة التى استلم فيها هيلاسلاسى السلطة وهو يستعمل كل وسائل محاكم التفتيش لتنصير المسلمين، ولذلك أغلق جميع المراكز الاسلامية فى هرر ، جما ، داوى Dawe وايفات Ifat ، بالاضافة الى مناطق أخرى كما منع تدريس اللغة العربية وضرب الستائر الحديدية على جميع المناطق الاسلامية ، فمنع زيارة العلماء المسلمين ، وقد حاولت بعثة من الأزهر زيارة أثيوبيا فى عام ١٩٥١ فاجبرت على مغادرة المطار بعد ساعات من نزولها .

والأنكى من ذلك أن الامبراطور شكل قبل عامين [١٩٦٦] لجنة برئاسته لتفسير القرآن باللغة الامهرية وتحريفه ، رغم أن المسلمين الأثيوبيين يقرأون العربية وهم امتداد عرقى وثقافى ودينى لقبائل السودان .. كما أصدر الامبراطور فى عام ١٩٦٠ قانونا

خاصا سماه Yafita Berk نفذ فى عام ١٩٦١ وفيه حرم المسلمون من الاحتكام الى محاكمهم الشرعية الخاصة . وليس لدى احداعتراض فى أن يسمى الدستور هيلاسيلاسى بما يشاء : كحامى الصليب المقدس Defender of the Holy Cross وذلك بالنسبة لقبيلة أمهرة ، ولكن ليس للجماهير المسلمة المستباحة للقتل الجماعى والتنصير الاجبارى . ولقد ذكر المؤرخ المشهور Thomas Arnold فى كتابه [الدعوة الى الاسلام] : The Preoching of Islam [أن عدد الذين عمدوا Baptised عند تاليفه الكتاب ، قد قدر فى أثيوبيـا ب ...ر٥٥ مسلم . هذا وأن اذاعة أديس أبابا قـد تحولت الى اقوى اذاعة أفريقية ، وبمساعدة تجهيزات المخابرات الامريـكية تقوم ببث رسائل الانجيل كل يوم وطوال النهار الى كل افريقيـا وباللغات الانجليزية والفرنسـية والعربيـة والسـواحلية ولغـة شانـنفا Chanyanja ولغة ياروبا Yaruba بالاضافة الى عدد آخر من اللغات الافريقية ، دون السماح بدقيقة واحدة لاذاعة القرآن الكريم .

اما الجيش فاحرى أن توصد ابوابه أمام المسـلمين .. ويقول الحاج ابراهيم احمد الهررى عضو المكتب التنفيذى لجبهة التحرير الصومالية أن انتساب المسلمين الى الجيش الأثيوبى كان محرما عليهم الى وقت قريب حيث أصبح يقبل منهم بنسبة ١ ٪ وبشروط صعبة مع وضع العراقيل فى وجههم كى لا يصـلوا الى مناصـب

عاليــة . وهــذا لم يتم على كل حال الا بعــد ثورات وصــيحات واحتجــاجات كثيرة .. وأما التجارة .. فقــد كان معظمها بيــد المسلمين فاصدرت الســلطات الحبشــية قانونا غريبــا يحظر على المسلمين الاستيراد والتصدير الا عن طريق مسيحى حبشى . وبذلك ـ يقول الهررى ـ وجهت السلطات الحبشــية الـكهنوتية ضربة جديدة شنيعة للمواطنين المسلمين .



مطابع المختار الاسلامى